سُورة يسۤ
مكية وآياتها ثلاث وثمانون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾

اللغـــة :

(الحكيم) : ذو الحكمة يقال قصيدة حكيمة أي ذات حكمة ، والحكمة تقدم القول فيها وحكم الرجل من باب كرم أي صار حكيماً ومنه قول النابغة :

واحكم كحكم فتــــاة الحي إذ نظرت

إلى حمـــام شـــراع وارد الثمــــد

وأحكمته التجارب جعلته حكيماً ، وقال آخر :

وقصيـــدة تأتي الملـــــوك حكيمــــة

قد قلتهــــا ليقــــال من ذا قالهــــا

وعبارة الكرخي : « فعيل بمعنى مفعل كقولهم عقــدت العسل فهو عقيد بمعنى معقــد وليس بمعنى مفعول كشيطــان رجيم بمعنى مرجوم وليس هو في الآية كذلك لأنه إنما يقال محكوم به ونحو ذلك ولا بمعنى فاعــل أي حاكم لأن الحاكم الحقيقي هو الله تعــالى فظهر بذلك أن القرآن الحكيم محكوم فيه لا حاكم وان الحاكم المطلق هو الله تعالى أو عــلى معنى النسب أي ذي الحكم لأنه دليل ناطق بالحكمة بطريق الاستعارة والمتصف بها على الاسناد المجازي » .

(الأذقان) : جمع ذقن بفتح الذال والقاف وبكسر الذال وفتح القاف مجتمع اللحيين من أسفلهما .

(مقمحون) : المقمح هو الذي يرفع رأسه ويغضّ بصره ، يقال قمح البعير فهو قامح إذا رفع رأسه بعــد الشرب لارتوائه أو لبرودة الماء أو لكراهة طعمــه وفي المختار : « الاقماح : رفــع الرأس وغض البصر يقــال أقمحــه الغــل إذا ترك رأسه مرفوعاً من ضيقه » وفي القاموس : « وأقمح الغل الأسير ترك رأسه مرفوعاً لضيقه » .

(سداً) السد والسد بفتح السين وضمها : الحاجز بين الشيئين والجبل والجمع أسداد قال علي بن أبي طالب « وضرب على قلبه بالأسداد » أي سدت عليه الطرق وعميت عليه المذاهب .

(فأغشيناهم) : أي فأغشينا أبصارهم أي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن أن تطمح الى مرئي وسيأتي المزيد من هذه الصور في بابي البلاغة والاعراب .

الاعراب :

(يس والقرآن الحكيم) يس تقدم القول في فواتح السور معنى وإعراباً . والواو حرف قسم وجر والقرآن مقسم به والحكيم صفة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف تقديره أقسم . (إنك لمن المرسلين) وان واسمها واللام المزحلقة ومن المرسلين خبرها . (على صراط مسقيم) على صراط خبر ثان لإن وقيل حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور وأجاز الزمخشري أن يتعلق بالمرسلين ومستقيم صفة لصراط أي الذين أرسلوا على طريقة مستقيمة ولا بأس بهذا الاعراب . (تنزيل العزيز الرحيم) تنزيل مفعول مطلق لفعل محذوف أي نزل القرآن تنزيلاً وأضيف لفاعله أو منصوب بفعل محذوف تقديره أعني أو أمدح وقرىء بالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف ، وعبارة الزمخشري : « قرىء تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف وبالنصب على أعني وبالجر على البدلية من القرآن » .

(لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون) اللام للتعليل وتنذر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور

متعلقان بتنزيل أو بمعنى قوله منْ المرسلين أي مرسل لتنذر ، وقوماً مفعول به وما نافية لأن قريشاً لم يبعث اليهم نبي قبل محمد صلى الله عليه وسلم وأنذر فعل ماض مبني للمجهول وآباؤهم نائب فاعل فالجملة على هذا صفة لقوماً أي قوماً لم ينذروا ويجوز أن تكون موصولة أو نكرة موصوفة أو مصدرية فتعرب هي وصفتها أو صلتها مفعولاً ثانياً لتنذر على الأولين ومفعولاً مطلقاً على الثالث وسنورد لك التأويلات الثلاثة :

الموصولة : لتنذر قوماً الذي أنذره آباؤهم •

النكرة : لتنذر قوماً عذاباً أنذره آباؤهم •

المصدرية : لتنذر قوماً إنذار آبائهم •

الزائدة : وأورد أبو البقاء وجهاً رابعاً وهو أن تكون زائدة وتكون جملة أنذر صفة لقوماً •

فهم الفاء تعليلية للنفي إذا جعلت ما نافية أي لم ينذروا فهم غافلون على أن عدم انذارهم هو سبب غفلتهم أو تعليلية للارسال كما تقول أرسلتك الى فلان لتنذره فإنه غافل وهم مبتدأ وغافلون خبر • (لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون) اللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وحق القول فعل وفاعل وعلى أكثرهم متعلقان بحق والفاء تعليلية أيضاً وهم مبتدأ وجملة لا يؤمنون خبر والمعنى والله لقد ثبت وتحقق عليهم القول بسبب اصرارهم على الكفر والإنكار • (إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي الى الأذقان فهم مقمحون) كلام مستأنف مسوق لتمثيل تصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى

ارعوائهم عن غيهم وان واسمها وجملة جعلنا خبرها وجعلنا فعل وفاعل وفي أعناقهم في محل نصب مفعول جعلنا الثاني وأغلالاً مفعول جعلنا الأول فهي الفاء للعطف والتعقيب أو للعطف والتعليل وسيرد الفرق بين المعنيين ، وهي مبتدأ والى الأذقان متعلقان بمحذوف خبر أي مجموعة أو مرفوعة ، وسيأتي المزيد من أسرار هذا التعبير في باب البلاغة ، فهم الفاء كالفاء الأولى وسماها بعضهم فاء النتيجة وهم مبتدأ ومقمحون خبر •

(وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً) الواو عاطفة وجعلنا فعل وفاعل ومن بين أيديهم في موضع نصب مفعول جعلنا الثاني وسداً مفعول جعلنا الأول ومن خلفهم سداً عطف على من بين أيديهم سداً • (فأغشيناهم فهم لا يبصرون) الفاء عاطفة وأغشيناهم فعل وفاعل ومفعول به والفاء تعليلية وهم مبتدأ وجملة لا يبصرون خبر هم •

البلاغة :

في قوله « إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً » الآية فنون شتى نوردها فيما يلي :

١ ــ الاستعارة التمثيلية :

تقدم القول كثيراً في الاستعارة التمثيلية وهي هنا تمثيل لتصميمهم على الكفر وإصرارهم على العناد بأن جعلهم كالمغلولين المقموحين في أنهم لا يلتفتون الى الحق ولا يثنون أعناقهم نحوه ، لأن

الأغلال واصلة الى الأذقان ملزوزة اليها فلا تخليهم يطأطئون فهم دائماً مقمحون رافعون رءوسهم غاضون أبصارهم ، أي شبهت حالتهم وهيئتهم في عدم إتاحة الايمان لهم بهيئة من غلت يده وعنقه فلم يستطع أن يتعاطى ما يريدون ، والجامع مطلق المانع • بقي هناك مبحث هام وهو هل يعود الضمير وهو قوله فهي الى الأذقان على الأغلال أو على الأيدي ، وقد رجح الزمخشري عودة الضمير على الأغلال قال : « فالأغلال واصلة الى الأذقان ملزوزة اليها وذلك أن طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها رأس العمود نادر من الحلقة الى الذقن فلا تخليه يطأطىء رأسه ويوطىء قذاله فلا يزال مقمحاً » واستطرد الزمخشري داعماً رأيه في عودة الضمير على الأغلال فقال : « فإن قلت فما قولك فيمن جعل الضمير للأيدي وزعم أن الغل لما كان جامعاً لليد والعنق ، وبذلك يسمى جامعة ، كان ذكر الأعناق دالاً على ذكر الأيدي ؟ قلت : الوجه ما ذكرت لك والدليل عليه قوله : فهم مقمحون ، ألا ترى كيف جعل الأقماح نتيجة قوله فهي الى الأذقان ولو كان الضمير للأيدي لم يكن معنى التسبب في الاقماح ظاهراً على أن هذا الاضمار فيه ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي يدعوه المعنى الى نفسه الى الباطل الذي يجفو عنه وترك للحق الأبلج الى الباطل اللجلج » ولعل الزمخشري قد بلغ الذروة في هذا التقرير الفريد ودل على اطلاعه وتمكنه من علم البيان ، على أن الوجه الثاني وهو عودة الضمير على الأيدي لا يخلو من وجاهة وسمو بيان وفيها مبالغة في تصوير الهول تتلاءم مع سياق الكلام فإن اليد وإن لم يجر لها ذكر في العبارة فإن الغل يدل عليها بل ويستلزمها ، ولا شك أن ضغط اليد مع العنق في العنق يوجب الاقماح ، أضف الى ذلك أن اليد متى كانت مرسلة مخلاة كان للمغلول بعض الفرج

باطلاقها ، ولعله يتحيل بها ويستعين على فكاك الغل وليس الأمر كذلك إذا كانت مغلولة فيضاف الى ما تقدم من التشبيهات المفرقة أن يكون انسداد باب الحيل عليهم في الهداية والانخلاع من ربقة الكفر المقدر عليهم مشبهاً بغل الأيدي لأن اليد ـ كما قلنا ـ آلة الحيلة والوسيلة الى الخلاص •

٢ ـ استعارة تمثيلية ثانية :

وفي قوله « وجعلنا من بين أيديهم سداً الآية » استعارة تمثيلية ثانية فقد شبههم بمن أحاط بهم سدان هائلان فغطيا أبصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم وورائهم في أنهم محبوسون في وهدة الجهالة ممنوعون من النظر في الآيات والدلائل أو كأنهم وقد حرموا نعمة التفكير في القرون الخالية والأمم الماضية والتأمل في المغاب الآتية والعواقب المستقبلة قد أحيطوا بسد من أمامهم وسد من ورائهم فهم في ظلمة داكنة لا تختلج العين من جانبها بقبس ولا تتوسم بصيصاً من أمل •

٣ ـ القلب :

وفي قوله « إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً » القلب وهو من فنون كلام العرب إذ حقيقته جعلنا أعناقهم في الأغلال ، وقال ثعلب : في قوله تعالى : « ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه » ان المعنى اسلكوا فيه سلسلة أي ادخلوا في عنقه سلسلة •

٤ ـ التنكير :

وفي تنكير أغلالاً مبالغة في تعظيمها وتهويل أمرها •

وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

الاعراب :

(وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) كلام مستأنف مسوق لبيان شأنهم بطريق التوبيخ بعد بيانه بطريق التمثيل ولك أن تعطفه على ما قبله فتكون الواو عاطفة ، وسواء خبر مقدم وعليهم متعلقان بسواء والهمزة للاستفهام وهي همزة التسوية وقد تقدم بحثها مفصلاً في سورة البقرة المماثلة وهي مع الفعل بعدها في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر أي مستو عندك إنذارك إياهم وعدمه ، وأم حرف عطف معادل للهمزة ولم حرف نفي وقلب وجزم وتنذرهم فعل مضارع مجزوم بلم والفاعل مستتر والهاء مفعول به وجملة لا يؤمنون استئناف مؤكد لما قبله أو حال مؤكدة له أو بدل منه . (إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب) إنما كافة ومكفوفة وتنذر فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنت ومن مفعول به وجملة اتبع الذكر صلة وجملة خشي الرحمن عطف على اتبع الذكر وبالغيب حال من الفاعل أو من المفعول به ، وتتساءل : ما وجه ذكر الانذار الثاني في معرض المخالفة للأول مع أن الأول إثبات والوجه هو أن

البغية المرومة بالانذار غير حاصلة وهي الايمان فقفّى بقوله إنما تنذر على معنى انما تحصل البغية بإنذارك من غير هؤلاء المنذرين وهم الذين اتبعوا الذكر وهو القرآن والخاشون ربهم فالمحصور إنما هو الانذار النافع فلا ينافيه وجود غيره لمن لم ينتفع به •

(فبشره بمغفرة وأجر كريم) الفاء الفصيحة وبشره فعل أمر وفاعل ومفعول به وبمغفرة متعلقان ببشره وأجر عطف على بمغفرة وكريم صفة لأجر • (إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم) إن واسمها ونحن مبتدأ أو ضمير فصل وجملة نحيي الموتى خبر نحن والجملة خبر إن أو الجملة خبر إنا ونكتب عطف على نحيي وما مفعول به وجملة قدموا صلة ما وآثارهم عطف على ما والمراد بها ما استن بعدهم وفي الحديث : « من سن سنة حسنة فعمل بها من بعده كان له أجرها ومثل أجر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من وزرهم شيء » •

(وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) نصب كل شيء بفعل محذوف يفسره ما بعده فهو نصب على الاشتغال وأحصيناه فعل وفاعل ومفعول به والجملة مفسرة لا محل لها وفي إمام متعلقان بأحصيناه ومبين نعت إمام أي في كتاب بيّن •

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ

﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾

اللغـــة :

(القرية) : القرية بفتح القاف وكسرها : الضيعة والمصر الجامع وجمع الناس والجمع قرى وقرى بضم القاف وكسرها والنسبة اليها قَرَوِيّ وقَرَيِي والمراد بها هنا انطاكية وسيأتي شيء عنها في باب الفوائد .

(فعززنا) : قوينا .

(طائركم) : تقدم ذكره في هذا الكتاب وفي المختار : « وطائر الانسان عمله الذي قلده والطير أيضاً الاسم من التطير ومنه قولهم : لا طير إلا طير الله كما يقال لا أمر إلا أمر الله وقال ابن السكيت : يقال : طائر الله لا طائرك ولا تقل طير الله وتطير من الشيء وبالشيء والاسم الطيرة بوزن عنبة وهي ما يتشاءم به من الفأل الرديء .

الاعراب :

« واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون) كلام مستأنف مسوق لأمر النبي بأن يضرب لقومه مثلاً بأصحاب القرية ، واضرب فعل أمر بمعنى اجعل ولهم متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لمثلاً وتقدمت عليه ومثلاً مفعول به ثان لاضرب وأصحاب مفعول به أول ، ومن المفيد أن نورد عبارة أبي السعود في تفسيره وهي : « ضرب المثل يستعمل تارة في تطبيق حالة غريبة بحالة أخرى مثلها كما في قوله تعالى : ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ، وأخرى في ذكر حالة غريبة وبيانها للناس من غير قصد الى تطبيقها بنظيرة لها كما في قوله تعالى : « وضربنا لكم الأمثال » فالمعنى على الأول اجعل أصحاب القرية مثلاً لهؤلاء في الغلو في الكفر والاصرار على تكذيب الرسل أي طبق حالهم بحالهم ، على أن مثلاً مفعول ثان لاضرب وأصحاب القرية مفعوله الأول أخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه ، وعلى الثاني اذكر وبيّن لهم قصة هي في الغرابة كالمثل » وعلى هذا تكون اضرب بمعنى اذكر ومثلاً مفعول به وأصحاب بدل على حذف مضاف أي مثل أصحاب والأول أولى ، وإذ ظرف لما مضى من الزمن ومحله بدل اشتمال من أصحاب القرية وجملة جاءها المرسلون في محل جر بإضافة الظرف اليها •

(إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما) إذ ظرف بدل من إذ الأولى أي بدل مفصل من مجمل وهو يدخل في نطاق البدل المطابق أو بدل الكل من الكل وجملة أرسلنا في محل جر بالإضافة واليهم متعلقان بأرسلنا واثنين مفعول به لأرسلنا والفاء عاطفة وكذبوهما فعل ماض

وفاعل ومفعول به • (فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم مرسلون) الفاء عاطفة وعززنا فعل ماض وفاعل ، بثالث متعلقان بعززنا ، فقالوا عطف على فعززنا وان واسمها واليكم متعلقان بمرسلون ومرسلون خبر إن والجملة مقول القول ومفعول عززنا محـذوف وسيأتي سر حذفه في باب البلاغـة • (قالوا : ما أنتم إلا بشر مثلنا) قالوا فعل وفاعل وما نافية وأنتم مبتدأ وإلا أداة حصـر وبشر خبر أنتم ومثلنا صفة لبشر والخطاب للثلاثة وجملة ما أنتم مقول القول • (وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون) الواو عاطفة وما نافية وأنزل الرحمن فعل وفاعـل ومن حرف جر زائد وشيء مجرور لفظاً بمن منصوب محلاً عـلى أنه مفعول أنزل وإن نافية وأنتم مبتدأ وإلا أداة حصـر وجملة تكذبون خبر •

(قالوا ربنا يعلم إنا اليكم لمرسلون) ربنا مبتدأ وجملة يعلم خبر وفاعل يعلم مستتر تقديره هو وإن واسمهـا وكسرت همزتها لمجيء اللام في خبرها وإليكم متعلقـان بمرسلون واللام المزحلقة ومرسلون خبر إنا وجملة إنا إليكم لمرسلون سدت مسد مفعولي يعلم وسيأتي بحث تأكيد الخبر في باب البلاغة • (وما علينا إلا البلاغ المبين) الواو عاطفة وما نافية وعلينا خبر مقدم وإلا أداة حصر والبلاغ مبتدأ مؤخر والمبين صفة • (قالوا : إنا تطيرنا بكم) قالوا فعل وفاعل وان واسمها وكسرت همزتها لوقوعها بعد القول وجملة تطيرنا خبرها وبكم متعلقان بتطيرنا وسبب تطيرهم أنهم توقعوا الشرّ وأوجسوه بعد أن كذبوهم وقد ترامت إليهم مصائر الأقوام الهالكـة بسبب تكذيبها الأنبياء • (لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكـم منّا عذاب أليم) لئن الـلام موطئة للقسم وإن شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم وتنتهوا فعـل

مضارع مجزوم بلم والواو فاعل واللام واقعة في جواب القسم ونرجمنكم فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل مستتر تقديره نحن والكاف مفعول به والجملة لا محل لها وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم وفاقاً للقاعدة المشهورة وليمسنكم عطف على لنرجمنكم ومنّا متعلقان بيمسنكم وعذاب فاعل وأليم صفته

• (قالوا طائركم معكم أئن ذُكّرتم بل أنتم قوم مسرفون) طائركم مبتدأ ومعكم ظرف متعلق بمحذوف خبر والهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي وإن شرطية وذكرتم فعل ماض مبني للمجهول وهو في محل جزم فعل الشرط وجواب الشرط محذوف والقاعدة عند سيبويه أنه إذا اجتمع شرط واستفهام يجاب الاستفهام ويحذف جواب الشرط وذهب غيره الى إجابة الشرط ، والتقدير عند سيبويه تتطيرون وعند الآخرين تطيروا بالجزم وبل حرف عطف واضراب أي ليس الأمر كذلك وأنتم مبتدأ وقوم خبر ومسرفون صفة .

• البلاغة :

١ ـ الحذف :

في قوله « فعززنا بثالث » فن الايجاز بالحذف فقد حذف مفعول عززنا والتقدير فعززناهما بثالث وإنما جنح الى هذا الحذف لانصباب الغرض على المعزز به الثالث وإذا كان الغرض هو المراد وكان الكلام منصبّاً عليه كان ما سواه مطروحاً ، ونظيره قولك حكم

الحاكم اليوم بالحق والغرض المسوق اليه قولك بالحق فلذلك رفضت ذكر المحكوم له والمحكوم عليه وإنما اهتمامك كله هو مراعاة جانب الحق ، وستأتي أسماء الثلاثة في باب الفوائد .

٢ ـ التأكيد :

وفي هـذه الآيات يبـدو التأكيد بأروع صوره للخبر فقد قال أولاً « إذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما » فأورد الكلام ابتدائي الخبر ثم قال إنا إليكم مرسلون فأكـده بمؤكدين وهو إن واسمية الجملة فأورد الكلام طلبياً ثم قال إنا إليكم لمرسلون فترقى في التأكيد بثلاثة وهي إن واللام واسمية الجملة فأورد الكلام إنكاري الخبر جواباً عن إنكارهم ، قيل وفي قوله ربنا يعلم تأكيد رابع وهو اجراء الكلام مجرى القسم في التأكيـد به وفي أنه يجاب بما يجاب به القسم . وفي هـذه الآية ائتلاف الفاصلة مـع ما يدل عليه سائر الكلام فإن ذكر الرسالة مهد لذكر البلاغ والبيان .

الفوائـد :

ذكرنا في باب اللغـة أن القرية انطاكية بفتـح الهمزة وكسرها وسكون النون وكسر الكاف وفتـح الياء المخففـة ، روى التاريخ ما ملخصه : بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين الى أهـل انطاكية وهما يحيى وبولس بفتح الباء الموحدة ، فلما قربا من المدينة رأيا شيخاً يرعى غنيمـات له وهو حبيب النجار فسلما عليه فقال لهما الشيخ من أنتما ؟ فقالا رسولا عيسى فقال أمعكما آية فقـالا نشفي المرضى ونبرىء الأكمه والأبرص وكان له ولد مريض فمسحاه فقـام

على الفور فآمن حبيب وفشا الخبر في المدينة فشفي على أيديهما خلق كثير ورقى حديثهما الى الملك وقال لهما ألنا إله سوى آلهتنا قالا نعم من أوجدك وآلهتك • فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا ، ثم بعث عيسى عليه السلام رأس الحواريين شمعون الصفي على أثرهما فدخل شمعون البلد متنكراً فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه وأنس به فقال له شمعون ذات يوم بلغني أنك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه ؟ فقال : لا ، حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما ؟ قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال : صفاه وأوجزا • قالا : يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد • قال وما آيتكما ؟ قالا ما يتمنى الملك • فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له بصره وأخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فكانتا مغلقتين ينظر بهما ، فقال له شمعون : أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف • قال : ليس لي عنك سر ، إن إلهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع • وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبونه أنه منهم ، ثم قال : إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمنا به ، فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال : إني أدخلت في سبعةأودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا ، وقال : فتحت أبواب السماء فرأيت شاباً حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة • قال الملك : ومن هم ؟ قال : شمعون وهذان • فتعجب الملك ، فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه أخبره بالحال أنه رسول عيسى ودعاه فآمن الملك وآمن معه قوم وكفر آخرون وقيل بل كفر الملك وأجمع على قتل الرسل هو وقومه فبلغ ذلك حبيباً وهو على باب المدينة فجاء يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم الى طاعة المرسلين •

قال وهب : اسمهما يوحنا وبولس وقيل صادق ومصدوق والثالث شمعون •

وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَالِيَ لَآ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَـٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذًا لَّفِي ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ * وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾

الاعراب :

(وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى) الواو عاطفة أو استئنافية وجاء فعل ماض ومن أقصى المدينة متعلقان بجاء وأراد بالمدينة القرية الآنفة الذكر أي انطاكية ورجل فاعل وجملة يسعى صفة والرجل هو حبيب النجار وستأتي لمحة عنه في باب الفوائد • (قال يا قوم اتبعوا

المرسلين) يا حرف نداء وقوم منــادى مضاف لياء المتكلم المحــذوفة وقد تقدم بحثه واتبعوا فعل أمر وفاعل والمرسلين مفعول به أي الذين هم رســل عيسى عليه السلام • (اتبعوا من لا يسألكـم أجراً وهم مهتــدون) اتبعوا تأكيد للأول وهو فعــل أمر وفاعل ومن مفعول به وجملة لا يسألكم صلة والكاف مفعول به أول وأجراً مفعول به ثان والواو واو الحال وهم مبتدأ ومهتدون خبر والجملة نصب على الحال ، وأجــاز بعضهم أن تكون مَن بدلاً من المرسلــين ولا أدري ما هو مسوغه بعد وجود عامله وكأنهم تصوروا حذف مفعول اتبعوا ولا أرى داعياً إليه ، وسيأتي المزيد من بحث هــذا الكــلام في باب البلاغة • (ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون) الواو عاطفــة وما اسم استفهام مبتدأ ولي خبره وجملة لا أعبد حالية والفاعل مستتر تقديره أنا والذي مفعوله وجملة فطرني صلة واليه متعلقان بترجعون وترجعون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل •

(أأتخذ من دونه آلهة) الهمزة للاستفهام الإنكاري ويجوز أن يكون معنى الاستفهام النفي واتخذ فعــل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا ومن دونه مفعول به ثان وآلهــة مفعول به أول • (إن يردنِ الرحمن بضرٍ لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون) إن شرطية ويردن فعــل الشرط والنون للوقاية والياء المحذوفة لاتباع خط المصحف مفعول به والرحمن فاعل وبضر متعلقان بيردن ولا نافية وتغن جواب الشرط وعني متعلقان بتغن وشفاعتهم فاعل وشيئاً مفعول مطلق أو مفعول به وقد تقدم ذكرها كثيراً ولا ينقذون عطف عــلى لا تغن وحذفت الياء أيضاً مراعاة لسنة المصحف وجملة الشرط استئنافية ويجوز أن تكون صفة لآلهة • (إني إذن لفي ضلال مبين) إن واسمها وإذن حرف جواب

وجزاء لا عمل لها واللام لام المزحلقة وفي ضلال خبر إن ومبين صفة وسيأتي بحث هام عن إذن في باب الفوائد .

(إني آمنت بربكم فاسمعون) إن واسمها وجملة آمنت خبرها وبربكم متعلقان بآمنت والفاء الفصيحة واسمعون فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والياء المحذوفة مفعول به ، ومعنى اسمعون اسمعوا قولي واتبعوا المرسلين وفيه دليل على تصلبه لمبدئه وصدق إيمانه وقيل اسمعوا إيماني تشهدوا لي به . (قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون) قيل فعل ماض مبني للمجهول ومتعلقه محذوف أي قيل له عند قتله ورؤيته ما أعد له جزاء على صدق إيمانه وقال فعل ماض ويا حرف تنبيه أو حرف نداء والمنادى محذوف وليت واسمها وجملة يعلمون خبرها .(بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) بما متعلقان بيعلمون وما مصدرية أو موصولة أي بغفران ربي أو بالذي غفره لي ربي من الذنوب وقال الفراء هي استفهامية ورُد عليه بأنها لو كانت كذلك لحذفت ألفها كما هي القاعدة ، وقيل ان حذف الألف أكثري لا كلي وهبه كذلك لا يسوغ حمل القرآن على الضعيف من الوجوه ، وجعلني فعل ماض والنون للوقاية والياء مفعول به أول ومن المكرمين مفعول به ثان .

(وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين) كلام مستأنف مسوق لاحتقار أمرهم أي لا حاجة الى ارسال جنود لهم فأقل شيء كاف لإبادتهم واستئصال شأفتهم ، وما نافية وأنزلنا فعل وفاعل وعليهم متعلقان بأنزلنا ومن بعده متعلقان بمحذوف حال ومن حرف جر زائد وجند مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه مفعول به ومن السماء صفة لجند والواو عاطفة وما نافية وكان واسمها

ومنزلين خبرها . (إن كانت إلا صيحــة واحدة فإذا هم خامــدون)
إن نافية وكانت فعــل ماض ناقص واسمهــا مضمر والتقدير ما كانت
الصيحــة إلا صيحة واحــدة والفاء عاطفــة وإذا فجائية وهم مبتدأ
وخامدون خبر .

البلاغــة :

١ ــ الالتفات في قوله « ومالي لا أعبد الذي فطرني » وفائدته
أن انتقاله من مخاطبتهــم ومناصحتهــم الى التكلم تلطفاً بهم من جهة
ووعيداً لهم من جهة ثانية ، فقد صرف الكلام أولاً الى نفسه وأراهم
أنه لا يختار لهــم إلا ما يختاره لنفسه ، ثم التفت الى مخاطبتهــم ثانياً
مقرعاً مهدداً بالعواقب التي تنتظرهم ، ثم عاد أخــيراً الى التلطف في
النصيحة لأن ذلك أدخــل في إمحاض النصح حيث لا يريد لهــم إلا
ما يريد لنفسه ، وقد وضع قوله : « ومالي لا أعبــد الذي فطرني »
مكان قوله : وما لكم لا تعبــدون الذي فطركم ، ألا ترى الى قوله
« وإليه ترجعون » ولولا أنه قصد ذلك لقال الذي فطرني وإليه أرجع
وقد ساقه ذلك المساق الى أن قال : « إني آمنت بربكم فاسمعون »
فانظر أيها المتأمل الى هــذه النكت الدقيقة التي تمر عليها في القرآن
الكريم وأنت تظن أنك فهمت فحواها واستنبطت رموزها .

٢ ــ ائتلاف الفاصلة :

وفي قوله : « قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر
لي ربي وجعلني من المكرمين » فن ائتلاف الفاصلة مــع ما يدل عليه
سائر الكلام ، فإن ذكر الجنة مهد لفاصلتها وفي ذلك تنبيه عظيم على

وجوب كظم الغيظ والحلم عن أهل الجهل والترؤف على من أدخل نفسه في غمار الأشرار وأهل البغي والتشمير فيه ، ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته ولمن ترصدوا له وتربصوا به الدوائر ونصبوا له الغوائل والمهالك ، هذا من جهة ثم إن في تمنيه أن يعلموا ليروعوا إلى أنفسهم بعد أن ينجلي الرين عن صدورهم وتنجاب الغواشي عن عيونهم فيبدو الصبح لذي عينين ، وتتبدد حنادس الشك والمين ، وفي ذلك انتصار له وفوز لدعوته وما بعد ذلك غبطة لمستزيد .

٣ ـ التشبيه البليغ في قوله « فإذا هم خامدون » شبههم بالنار الخامدة التي صارت رماداً على حد قول لبيد :

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه
يحور رماداً إذ هو ساطع

أي ليس حال المرء وحياته وبهجته ثم موته وفناؤه بعد ذلك إلا مثل حال شهاب النار وضوئه يصير رماداً بعد إضاءته . وبعد هذا البيت :

وما المال والأهلون إلا ودائع
ولا بدّ يوماً أن ترد الودائع

شبه مال الشخص وأقاربه بالودائع تشبيهاً بليغاً بجامع أنه لا بد من أخذ كل منها .

٤ ـ في قوله : « قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون » وإنما ختم بقوله « وهم مهتدون » مع تمام الكلام بدونه لزيادة الحث على الاتباع ففيه إطناب .

الفوائــد :

بحث هام عن إذن :

تحدثنا في هــذا الكتاب عن إذن ونضيف الى ما تقــدم ما قاله الرضي ففيه جــلاء لموقعها من الآية ، قــال : « إنها اسم وأصلها إذ ، حذفت الجملة المضاف إليها وعوض عنهــا التنوين وفتح ليكون في صورة ظرف منصوب وقصد جعله صالحاً لجميــع الأزمنة بعد ما كان مختصاً بالماضي وضمن معنى الشرط غالباً وإنما قلنا غالباً لأنه لا معنى للشرط في نحو «قال فعلتها إذن وأنا من الضالين » ثم قال الرضي: وإذا كان بمعنى الشــرط في الماضي جاز اجراؤه مجرى لو في قرن جوابه باللام نحو « إذن لأذقناك » أي لو ركنت شيئاً قليلاً لأذقناك ، وإذا كان بمعنى الشرط في المستقبل جاز قرن جوابه بالفاء كقول النابغة :

ما إن أتيــــت بشيء أنت تكرهـــــه
إذن فـــــلا رفعت سوطي الي يــــدي

أي إن أتيت ، وقد تستعمــل بعد لو وإن توكيداً لهما نحو لو زرتني لأكرمتك وإن جئتني إذن أزورك » ثم قال : ولما احتملت إذن التي يليهــا المضارع معنى الجزاء فالمضارع مستقبل واحتملت معنى مجرد الزمان ، فالمضارع حال وقصد التنصيص عــلى معنى الجزاء في إذن نصب المضارع بأن المقدرة لأنها تخلصه للاستقبال فتحمل إذن على الغالب فيها من الجزاء لانتفاء الحالية المانعة من الجزاء بسبب النصب بأن » وقد أطــال الرضي في البحث فحسبنا ما اقتبسناه من كلامــه ليضاف الى ما تقدم عنها •

يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٣٠) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (٣١) وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٣٢)

الاعراب :

(يا حسرة على العباد) في هذا النداء وجهان أولهما أنه منادى شبيه بالمضاف ولذلك نصب وإنما كان شبيهاً بالمضاف لأنه اتصل به شيء من تمام معناه وهو على العباد ولك أن تجعله منادى نكرة مقصودة كأنما المنادى حسرة معينة وإنما نصبت لأنها وصفت بالجار والمجرور وقد تقدم معنا أن المنادى النكرة المقصودة إذا وصف نصب والوجه الثاني أن المنادى محذوف وحسرة مصدر أي أتحسر حسرة واختلف المفسرون في المتحسر ولا داعي للاختلاف فالحسرة جديرة بهم والمستهزئون بالرسل أحرياء بأن يتحسر عليهم المتحسرون أو يتحسروا على أنفسهم • والنداء هنا مجازي أي يا حسرة احضري فهذا أوانك • (ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون) كلام مستأنف مسوق لتعليل التحسر عليهم وما نافية ويأتيهم فعل مضارع ومفعول به ومن حرف جر زائد ورسول مجرور بمن لفظاً مرفوع محلاً على أنه فاعل وإلا أداة حصر وجملة كانوا استثناء من أعم الأحوال فهي جملة في محل نصب على الحال من الهاء في يأتيهم وكان واسمها وبه جار ومجرور متعلقان بيستهزئون وجملة يستهزئون خبر كانوا •

(ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون) الهمزة للاستفهام التقريري أي لقد علموا ذلك جيداً ولم حرف نفي وقلب وجزم ويروا فعل مضارع مجزوم بلم والواو فاعل وقد علقت يروا عن العمل لأن الرؤية هنا قلبية علمية وكم خبرية في محل نصب مفعول مقدم لأهلكنا والجملة في محل نصب مفعول يروا ويجوز أن تكون كم استفهامية وقبلهم ظرف متعلق بأهلكنا ومن القرون حال وأن وما في حيزها بدل من معنى كم أهلكنا والتقدير : ألم يروا كثرة إهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين إليهم ويجوز أن يكون المصدر المؤول معمولاً لفعل محذوف دل عليه السياق والمعنى تقديره وقضينا وحكمنا أنهم إليهم لا يرجعون وان واسمها واليهم متعلقان بيرجعون ولا نافية وجملة يرجعون خبر ان وللزمخشري فيها كلام لطيف نورده في باب الفوائد . (وإن كلٌ لما جميع لدينا محضرون) الواو عاطفة وإن نافية وكل مبتدأ ولما بمعنى إلا وجميع خبر كل ولدينا ظرف متعلق بجميع أو بمحضرون ومحضرون خبر ثان وسيأتي مزيد من إعراب هذه الآية وقراءاتها .

الفوائد :

١ ـ كلام الزمخشري في الآية :

للمعربين كلام طويل في إعراب قوله تعالى :« ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون » وقد أوردنا لك ما رأيناه أمثل الأوجه في إعرابها ونرى من المفيد أن نورد لك الكلام الذي أورده الزمخشري بهذا الصدد قال : « ألم يروا : ألم يعلموا وهو معلق عن العمل في كم لأن كم لا يعمل فيها عامل قبلها سواء كانت

للاستفهام أو لمضمر لأن أصلها الاستفهام إلا أن معناها نافذ في الجملة كما تنفذ في قولك ألم يروا إن زيداً لمنطلق وان لم يعمل في لفظه وانهم إليهم لا يرجعون بدل من كم أهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره ألم يروا كثرة إهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين إليهم » •

هذا وقد قرىء بتخفيف « لما » فتكون إن مخففة من الثقيلة وإن مهملة عن العمل وكل مبتدأ وما بعده خبره ولزمت اللام في الخبر فرقاً بين المخففة والنافية وما مزيدة •

٢ ـ مناقشة لطيفة :

اعلم أن الزمخشري أورد سؤالاً في الآية فقال : كيف أخبر عن كل بجميع مع أن الفارسي نص على أنه لا يجوز : إن الذاهبة جارية صاحبها ، واستشكلوا قوله تعالى « فإن كانتا اثنتين » لأنه أخبر عن ضمير الاثنين بالاثنين فلا فائدة فيه ، وانتقد بعض الناس على الفارسي وقال إن الجارية مضافة والإضافة تكون بأدنى ملابسة فلا تدل إضافة الجارية إليه على أنها ملكه بل قد تكون جارته فأضافها باعتبار الجوار فقط ثم قل صاحبها فأفاد أنها ملكه، وأجاب الزمخشري عن السؤال بأن كلا لا يقتضي الجمعية بخلاف جميع وهذا قد نص عليه ابن عصفور فإنه فرق بين أجمع وجميع بأن أجمع لا يقتضي الجمعية بخلاف جميع لكن إنما ادعى ذلك في حالة النصب نحو جاء الزيدون جميعاً أما في الرفع فلا فرق بين جاء الزيدون أجمعون أو جميع فما قاله الزمخشري مشكل لأن جميعاً لا يفيد الجمعية إلا إذا انتصب على الحال فيبقى السؤال وارداً ، وأجاب عنه الفخر الرازي بجواب حسن وهو أنه إذا كان في الخبر زيادة صفة أو إضافة تقييد صح أن يؤتى بلفظ المبتدأ أو معناه كقولك الرجل رجل صالح •

وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

الاعراب :

(وآية لهم الأرض الميتة أحييناها) كلام مستأنف مسوق لإيراد آية على البعث والتوحيد • وآية خبر مقدم ولهم صفة والأرض مبتدأ مؤخر وجملة أحييناها يجوز فيهـا أن تكون حالية وأن تكون صفة وسيأتي السر في وصفيتها في باب الفوائد • (وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون) عطف عـلى أحييناها وأخرجنا فعـل وفاعل ومنها متعلقان بأخرجنا وحباً مفعول به والفاء استئنافية ومنه متعلقـان بيأكلون • (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون) وجعلنا فعـل وفاعل والجملة عطف عـلى أحييناها وفيها متعلقان بجعلنا أو بمحـذوف مفعول به ثان لجعلنا وجنات مفعول به ومن نخيل صفة لجنات وأعناب عطف عـلى نخيل وفجرنا عطف أيضاً وفيها متعلقان بفجرنا ومن العيون صفة لمفعول فجرنا المحذوف أي ينابيع كائنة من العيون ، وقـدره أبو البقاء بقوله : ما ينتفعون به من العيون فمن للتبعيض • (ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهـم أفـلا يشكرون) ليأكلوا تعليل لما تقدم ومن ثمره جار ومجرور متعلقان بيأكلوا وما

موصولية أو نكرة موصوفة عطف على من ثمره وجملة عملته أيديهم صلة أو صفة ولك أن تجعلها مصدرية أي ومن عمل أيديهم فهو بمعنى ما تقدم ، وإعرابه : قال الزمخشري : « ولك أن تجعل ما نافية على أن الثمر خلق الله ولم تعمله أيدي الناس ولا يقدرون عليه » والهمزة للاستفهام الانكاري لأنه لا شيء أقبح من إنكار النعمة وغمط الصنيع والفاء تقدم أنها في مثل هذا المقام عاطفة على محذوف يقتضيه السياق أي أيرون هذه النعم ويستمتعون بها فلا يشكرونها ولا نافية ويشكرون فعل مضارع وفاعل والمفعول به محذوف كما أشرنا • (سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض) سبحان مفعول مطلق لفعل محذوف وقد تقدم القول فيه والجملة مستأنفة مسوقة لتنزيه تعالى عما لا يليق به والذي مضاف إليه وجملة خلق صلة والأزواج مفعول به وكلها تأكيد ومما متعلقان بمحذوف حال وجملة تنبت الأرض صلة •

(ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) عطف على قوله مما تنبت الأرض وبهذا استمر في الأمور الثلاثة التي لا يخرج عنها شيء من أصناف المخلوقات وهي على التوالي :

١ ــ ما تنبته الأرض من الحبوب وأصناف الشجر •

٢ ــ ما يتوالده الناس من ذكر وأنثى •

٣ ــ من أزواج لم يطلع الله عباده عليها بعد ولم يكتنهوا حقيقتها •

البلاغة :

في قوله: « سبحان الذي خلق الأزواج كلها » الآية فن التناسب

بين المعاني أو صحة التفسير وهو أن يأتي المتكلم في أول كلامه بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه ، فإما أن يكون مجملاً يحتاج إلى تفصيل أو موجهاً يفتقر إلى توجيه أو محتملاً يحتاج المراد منه إلى ترجيح لا يحصل إلا بتفسيره وتبيينه ، ووقوع التفسير في الكلام على أنحاء تارة يأتي بعد الشرط أو بعد ما فيه معنى الشرط وطوراً بعد الجار والمجرور وآونة بعد المبتدأ الذي التفسير خبره ، وقد أتت صحة التفسير في هذه الآية مقترنة بصحة التقسيم واندمج فيهما الترتيب والتهذيب فكان فيها أربعة فنون ؛ فقد قدم سبحانه النبات كما ذكرنا في الإعراب وانتقل على طريق البلاغة إلى الأعلى فثنى بأشرف الحيوان وهو الانسان ليستلزم ذكره بقية الحيوان ثم ثلث بقوله : « ومما لا يعلمون » فانتقل من الخصوص إلى العموم ليندرج تحت العموم فسبحان منزل القرآن •

الفوائد :

ذكر الزمخشري أن الثمر يجمع على ثمر بفتحتين وثمر بضمتين وثمر بضمة فسكون ولم يذكر غيره الاثنين الأولين •

وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

اللغــة :

(نسلخ) : تفصل يقال سلخ جلد الشاة إذا كشطه عنها وأزاله، وسلخ الحية • وفي معاجم اللغة : سلخ يسلخ من باب نصر وفتح سلخاً الخروف كشط جلده وسلخت المرأة درعهـا : نزعته وسلخت الحية انكشفت عن سلختها وسلخها أي قشرها فاستعير السلخ لإزالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وملقى ظله •

(العرجون) : بضم العـين ويقـال له أيضاً العرجد والعرجد بتشديد الدال أصل العذق الذي يعوج ويبقى على النخل يابساً بعد أن تقطع عنه الشماريخ ، والجمع عراجين • وقال الزجاج : هو فعلون من الانعراج وهو الانعطـاف • وسيأتي سـر تشبيه القمـر به في باب البلاغة •

الإعراب :

(وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون) الواو عاطفة وآية خبر مقدم ولهم صفة والليـل مبتدأ مؤخر وجملة نسلخ حالية ومنه متعلقان بنسلخ والنهار مفعول والفاء عاطفة وإذا فجائية وهم مبتدأ ومظلمون خبر ومعنى مظلمون أي داخلون في الظلام • يقال أظلمنا كما يقـال أعتمنا وأدجينا وأظهرنا وكذلك أصبحنا وأضحينا وأمسينا •

(والشمس تجري لمستقر لها) الشمس مبتدأ وجملة تجري خبر ولمستقر متعلقان بتجري وسيرد في باب الفوائـد معنى المستقر ولها

متعلقان بمحذوف صفة • (ذلك تقـدير العزيز العليم) ذلك مبتدأ والاشارة الى جريها وتقـدير خبره والعزيز مضاف اليه والعليم صفة ثانية• (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) الواو عاطفة والقمر مفعول به لفعل محذوف يفسره ما بعده أي فهو منصوب على الاشتغال وجملة قدرناه من الفعل والفاعل والمفعول به مفسرة وقرىء بالرفع على أنه معطوف على المبتدأ المقدم أو على انه مبتدأ خبره قدرناه ومنازل فيه أوجه : أحدها أنه حال عـلى حذف مضاف أي ذا منازل لأنه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل وثانيها أنه مفعول ثان لقدرناه أي صيّرناه منازل والثالث انه ظرف أي قدرنا سيره في منازل وقد جنح الى هذا الوجه الزمخشري والجلال ، وحتى حرف غاية وجر وعاد فعـل ماض وفاعله هو أي القمر في آخر منازله ولك أن تجعـل عاد ناقصة فيكون الاسم مستتراً والكاف اسم بمعنى مثل خبر عاد وان اعتبرتها تامة كانت في محل نصب على الحال والقديم صفة للعرجون وسيأتي سر هذا التشبيه في باب البلاغة •

(لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) لا نافية والشمس مبتدأ وجملة ينبغي خبر ولها متعلقان بينبغي وأن وما في حيزها فاعل ينبغي والقمر مفعول ومعنى ادراك الشمس للقمر الإخـلال بالسير المقدر والنظام المتبع لئلا يختل تكوين الكون ونظامه•(ولا الليل سابق النهار) عطف على ما تقدم والليل مبتدأ وسابق خبر والنهار مضاف اليه وسيأتي المزيد من معناه • (وكل في فلك يسبحون) كل مبتدأ ساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم ولأن التنوين عوض عن كلمة مضافة أي كل واحـد من الشمس والقمر والنجوم والكواكب ، وفي فلك متعلقان بيسبحون وجملة يسبحون خبر والواو فاعل لأنه نزلها منزلة العقلاء وسيأتي السر في ذلك في باب البلاغة •

البلاغــة :

اشتملت هذه الآيات على العديد من فنون البلاغة :

١ ــ الاستعارة :

فأولها الاستعارة المكنية في قوله « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار » فقد شبه تبرؤ الليل من النهار بانسلاخ الجلــد عن الجسم المسلوخ وذلك انه لما كانت هوادي الصبح عند طلوعه ملتحمة بأعجاز الليل أجرى عليها اسم السلخ وكان ذلك أولى من أن يقال نخرج مثلاً لأن السلخ لا يتأتى إلى بجهد ومشقة لفرط التحامه باللحم والعظام ، والجامع بينهما الإزالة والتعرية فكما أن الشاة تتعرى حــين يسلخ اهابها كذلك الليــل إذا انسلخ عنه النهــار زال ضوءه وبدت ظلمته الحالكة تغمر الكون بسوادها .

٢ ــ التوشيح :

وفي قوله : « وآية لهم الليــل نسلخ منه النهــار » الآية فن التوشيح وهو أن يكون في أول الــكلام معنى إذا علــم علمت منه القافية إن كان شعراً أو السجع إن كان نثراً بشرط أن يكون المعنى المتقدم بلفظه من جنس معنى القافية أو السجعة بلفظه أو من لوازم لفظــه فإن من كان حافظاً للسورة متفطناً إلى أن مقاطــع آيها النون المردفة وسمع في صدر الآية انسلاخ النهار من الليل علم أن الفاصلة تكون مظلمون لأن من انسلخ النهار عن ليله أظلم أي دخل في الظلمات ما دامت تلك الحال .

٣ ــ التشبيه المرسل :

وذلك في قوله « حتى عاد كالعرجون القديم » فقد مثل الهلال بأصل عذق النخلة والعذق بكسر العين وهو الكباسة والكباسة عنقود النخل وهو تشبيه بديع للهلال فإن العرجون إذا قدم دق وانحنى واصفر وهي وجوه الشبه بين الهلال والعرجون فهو يشبهه في رأي العين في الدقة لا في المقدار والاستقواس والاصفرار .

٤ ــ الاستعارة أيضاً :

واستعار الادراك للشمس والسبق لليل والنهار ليبين ما هو مقرر في علم الجغرافيا من دورات الشمس والقمر والأرض وتكون الليل والنهار ، وجعل الشمس غير مدركة والقمر غير سابق لأن الشمس ثابتة لا تدور إلا دورة لم تعرف مدتها حول شيء مجهول لنا بالكلية ولها أيضاً دورة على محورها كالأرض تقطعها في خمسة وعشرين يوماً أو هي بالضبط خمسة وعشرون يوماً وست ساعات وست عشرة دقيقة وثماني ثوان ، أما القمر فله حركتان : إحداهما حول محوره وثانيتهما حول الأرض وكل منهما يتجه من المغرب إلى المشرق ويقطع مداره حول الأرض في تسعة وعشرين يوماً ونصف تقريباً وهذا هو المسمى بالشهر القمري فكانت الشمس جديرة بأن توصف بالادراك لتباطؤ سيرها والقمر خليق بأن يوصف بالسبق لسرعة سيره .

٥ ــ التغليب :

وغلب العقلاء لأنه نزل الشمس والقمر والنجوم والكواكب

منزلتهم والسر فيه انه لما وصفهم بالسباحة وهي من أوصاف العقلاء ساغ له ذلك .

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾

اللغـــة :

(المشحون): شحن السفينة ملأها وأتم جهازها كله « في الفلك المشحون » وبينهما شحناء : عداوة وهو مشاحن لأخيه ويقال للشيء الشديد الحموضة انه ليشحن الذباب أي يطرده وبابه فتـح إذا كان بمعنى الملء وإذا كان بمعنى الطرد فهو من باب فتح ونصر ، يقـال : شحنت الكلاب أي أبعـدت الطرد ولم تصد شيئاً وإذا كان بمعنى الحقد فهو من باب تعب .

(صريخ) : مغيث ويطلق أيضاً على الصارخ أي المستغيث فهو من الأضداد ويكون مصدراً بمعنى الإغاثة وكل منهما مراد هنا وفي الأساس : « وصرخ يصرُخ صراخاً وصريخاً وهو صارخ وصريخ وقد نقع الصريخ قال :

قوم إذا نقع الصريخ رأيتهم من بين ملجم مهره أو سافع

والصراخ : صوت المستغيث وصوت المغيث إذا صرخ بقومه للإغاثة .

قال سلامة :

إنا إذا ما أتانا صارخ فزع كان الصراخ له قرع الظنابيب

أي كان الغياث له وتقول : جاء فلان صارخاً وصريخاً ومستصرخاً : مستغيثاً وأقبل صارخاً وصارخةً وصريخاً ومُصرخاً : مغيثاً قال :

وكانوا مهلكي الأبناء لولا تداركهم بصارخة شفيق

وفي المثل : « عبد صريخه أمة » أي مغيثه وأصرخته أغثته ، واستصرخني استغاثني وتصارخوا واصطرخوا : تصايحوا » .

(الذرية) : سيأتي بحثها في باب الإعراب .

الاعراب :

(وآية لهم أنّا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون) اختلف في عود الضمير ونرى أن الأصوب أن يكون عاماً وأن يكون بمثابة امتنان عليهم بأصناف من النعم منها حملهم في السفن فتكون الألف واللام في الفلك للجنس لا لسفينة نوح خاصة . وآية خبر مقدم ولهم صفة وأنا أن وما في حيزها مبتدأ مؤخر وأن واسمها وجملة حملنا خبرها

وحملنا فعـل وفاعل وذريتهـم مفعول به وفي الفلك متعلقان بحملنا والمشحون صفة وقد أطلقت الذرية على الأصول وهي تطلق أيضاً على الفروع لأن لفظ الذرية مشترك بين الضدين لأن الذرية من الذرء أي الخلق والفروع مخلوقون من الأصول والأصول خلقت منها الفروع وقال البغوي : « واسم الذرية يقع على الآباء كما يقع على الأولاد » وفي القاموس : « ذرأ كجعل خلق والشيء كثره ومنه الذرية مثلثة لنسل الثقلين » واستدرك في التاج فقـال : « وقد يطلق عـلى الآباء والأصول قال الله تعالى : أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون والجمع ذراري كسراري » فليس في الآية إشكال كما زعم القرطبي وسيأتي نص عبارته في باب الفوائد .

(وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) الواو عاطفـة وخلقنا فعل وفاعل ولهم متعلقان بخلقنا ومن مثله في محل نصب عـلى الحال من المفعول المؤخر وهو ما وجملة يركبون صلة ما والضمير في مثله يعود عـلى الفلك فإما أن يراد بالمثـل ما اصطنعوه بعـد ذلك من وسائل الركوب أو أنه مقتصر على الإبل لأنهم كانوا يسمونها سفائن الصحراء وهناك أقوال يرجع إليها في المطولات . (وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون) الواو عاطفة وإن شرطية ونشأ فعل الشرط وفاعله مستتر تقديره نحن ونغرقهم جواب الشرط والفاء عاطفة واختار ابن عطية أن تكون استئنافية وفي ذلك قطـع للكلام ، ولا نافية للجنس وصريخ اسمها مبني على الفتح ولهم خبرها والواو عاطفة ولا نافية وهم مبتدأ وجملة ينقذون خبر وينقذون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو نائب فاعل . (إلا رحمة منا ومتاعاً إلى حـين) إلا أداة حصر ورحمة مفعول لأجله فهو استثناء مفرغ من أعـم العلـل وقيـل هو

استثناء منقطع وقيل هو مفعول مطلق لفعل محذوف وقيل منصوب بنزع الخافض ومتاعاً عطف على رحمة وإلى حين صفة وسيأتي معنى هذا الكلام في باب البلاغة .

(وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون) كلام مستأنف مسوق لبيان إعراضهم عن هذه الآيات الآنفة الذكر وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة قيل في محل جر بإضافة الظرف إليها ولهم متعلقان بقيل وجملة اتقوا مقول القول واتقوا فعل أمر وفاعل وما مفعول به والظرف متعلق بمحذوف صلة ما وأيديكم مضاف إليه وما خلفكم عطف على ما بين أيديكم ولعلكم لعل واسمها وجملة ترحمون خبرها وجواب إذا محذوف مدلول عليه بقوله الآتي والتقدير أعرضوا وأشاحوا . (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين) الواو عاطفة وما نافية وتأتيهم فعل مضارع ومفعول به ومن حرف جر زائد وآية مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه فاعل ومن آيات ربهم صفة ومعنى من التبعيض وإلا أداة حصر وجملة كانوا عنها معرضين في محل نصب حال وكان واسمها وعنها متعلقان بمعرضين ومعرضين خبرها .

البلاغة :

في قوله : « وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم » إلى قوله : « ومتاعاً إلى حين » سلامة الاختراع وهي الاتيان بمعنى لم يسبق إليه فإن نجاتهم من الغرق برحمة منه تعالى هي في حد ذاتها متاع يستمتعون به ولكنه على كل حال إلى أجل مقدر يموتون فيه لامندوحة لهم عنه ، فهم إن نجوا من الغرق فلن ينجوا مما يشبهه أو يدانيه ، والموت

لا تفاوت فيه . وقد رمق أبو الطيب ، كعادته ، سماء هذا المعنى فقال من قصيدة قالها بمصر يذكر بها حماه التي كانت تغشاه :

وإن أسلم فمـا أبقى ولكن سلمت من الحمام إلى الحمام

يقول : فإن أسلم من مرض لم أبق خالـداً ولكن سلمت من الموت بهذا المرض إلى الموت بمرض آخر وهـذا معنى بديع تداوله الشعراء ، فقال آخر :

إذا بُلّ من داء به خـال أنه تجاذبه الـداء الذي هو قاتله

وقد دندن أبو الطيب لتصوير المتاع المستعجل ببيتين ولم يسم إلى الآية فقال :

تمتـع من سهـاد أو رقاد ولا تأمل كرى تحت الرجام

فإن لثالث الحالـين معنى سوى معنى اتتباهك والمنام

أراد بثالث الحالين الموت يقول ما دمت حياً تمتـع من حالتي النوم والسهاد فإنك لا تنام في القبر ، والموت غير اليقظة والرقاد فلا تحسبن الموت نوماً .

الفوائـد :

عبارة القرطبي في تفسير الآية :

وعدناك أن ننقـل لك عبارة القرطبي وبراً بهذا الوعد نوردها لك : « هذه الآية من أشكل مافي هذه السورة لأنهم هم المحمولون

فقيل : المعنى وآية لأهل مكة أنا حملنا ذرية القرون الماضية في الفلك المشحون فالضميران مختلفان ، ذكره المهدوي وحكاه النحاس عن علي ابن سليمان انه سمعه يقوله وقيل الضميران جميعاً لأهل مكة على أن يكون المراد بذرياتهم أولادهم وضعفاءهم فالفلك على القول الأول سفينة نوح وعلى الثاني يكون اسماً للجنس أخبر تعالى بلطفه وامتنانه أنه خلق السفن يحمل فيها من يضعف عن المشي والركوب من الذرية والضعفاء فيكون الضميران على هذا متفقين ، وقيل الذرية الآباء والأجداد حملهم الله تعالى في سفينة نوح عليه السلام فالآباء ذرية والأبناء ذرية بدليل هذه الآية قاله أبو عثمان وسمي الآباء ذرية لأنه ذرأ منهم الأبناء ، وقول رابع أن الذرية النطف حملها الله تعالى في بطون النساء تشبيهاً بالفلك المشحون قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ذكره الماوردي » والقول الصحيح والوجيه ما أسلفناه .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾

اللغـــة :

(يخصمون) : بفتح الياء وكسر الخاء وكسر الصاد المشددة وأصله يختصمون فلما حذفت حركة التاء صارت ساكنة فالتقت ساكنة مع الخاء فحركت الخاء بالكسر على أصل التخلص من التقاء الساكنين وهناك قراءات أخرى يرجع إليها في المطولات .

الاعراب :

(وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله) عطف على ما تقدم وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة قيل في محل جر بالإضافة وجملة أنفقوا مقول القول ومما جار ومجرور متعلقان بأنفقوا وجملة رزقكم الله صلة . (قـال الذين كفروا للذين آمنوا : أنطعم من لو يشاء الله أطعمه) جملة قال لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم والذين فاعل وجملة كفروا صلة وللذين متعلقان بقال وجملة آمنوا صلة والهمزة للاستفهام ومعناه الاستهزاء : كان بمكـة زنادقة فإذا أمروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله أيفقره الله ونطعمه نحن ؟ وقيل نزلت في مشركي قريش حـين قـال فقراء أصحاب رسول الله : أعطونا مما زعمتم من أموالكم إنها لله يعنون قوله : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعـام نصيباً » فحرموهـم وقالوا : لو شاء الله لأطعمكم استهزاء منهم بالمؤمنين أي فـلا نطعمكم حتى ترجعوا إلى ديننا . ونطعم فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره نحن ومن مفعول به ولو شرطية ويشاء الله فعل مضارع وفاعل وجملة أطعمه لا محل لها وجملة لو يشاء الله أطعمه لا محل لها لأنها صلة من .

(إن أنتم إلا في ضلال مبين) إما أن يكون تتمة كلام المشركين وإما أن يكون من قول أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لهم وإما أن يكون من قول الله تعالى لهم ، وروى القرطبي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يطعم مساكين المسلمين فلقيه أبو جهل فقال : يا أبا بكر أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء ؟ قال : نعم ، قال : فما باله لم يطعمهم ؟ قال : ابتلى قوماً بالفقر وقوماً بالغنى وأمر الفقراء بالصبر وأمر الأغنياء بالإعطاء ، فقال أبو جهل : والله يا أبا بكر إن أنت إلا في ضلال أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء وهو لا يطعمهم ثم تطعمهم أنت فنزلت الآية • (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) كلام مستأنف لبيان ضرب آخر من تعسفهم وركوبهم متن الضلالة ويقولون فعل مضارع وفاعل ومتى اسم استفهام في محل نصب على الظرفية والظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وهذا مبتدأ مؤخر والوعد بدل من اسم الإشارة وإن شرطية وكنتم صادقين كان واسمها وخبرها وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه أي فمتى هذا الوعد ؟

(ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون) ما نافية وينظرون فعل مضارع وفاعل ومعناه ينتظرون : جعلهم منتظرين وقوعها مع أنهم كانوا قاطعين بعدمها محاكاة لكلامهم • وإلا أداة حصر وصيحة مفعول به وواحدة صفة وجملة تأخذهم صفة ثانية أو حالية والواو حالية وهم ضمير منفصل مبتدأ وجملة يخصمون خبر والجملة نصب على الحال والمعنى أنها تبغتهم وهم سادرون في الغفلة مسترسلون في الخصومات حول المتاجر والمعاملات • (فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون) الفاء عاطفة ولا نافية ويستطيعون فعل

مضارع وفاعل وتوصية مفعول به والواو عاطفة ولا نافية وإلى أهلهم جار ومجرور متعلقان بيرجعون والجملة معطوفة على فلا يستطيعون •

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

اللغــــة :

(الصور) : هو القرن أو ما يسمى اليوم البوق وهــو شيء مجوف مستطيل ينفخ فيه ويزمر ويجمع على أبواق وبيقان وبوقات • قال أبو الفتح بن جني : عاب عــلى أبي الطيب من لا خبرة له بكلام العرب جمع بوق على بوقات في قوله :

إذا كان بعض الناس سيفاً لـــــدولة

ففي الناس بوقـــــات لهـــا وطبـــول

والقياس يعضده إذ له نظائر كثيرة مثل حمام وحمامات وسرادق وسرادقات وجواب وجوابات وهو كثير في جميع مالا يعقل من المذكر •

(الأجداث) : القبور جمع جدث كفرس وأفراس وقرىء من الأجداف بالفاء وهي لغة في الأجداث يقال جدث وجدف •

(ينسلون) : يعدون بكسر السين وضمها يقال نسل الذئب ينسل من باب ضرب يضرب وقيل ينسل بالضم أيضاً وهو الاسراع في المشي وفي القاموس : « نسل ينسل وينسل بكسر السين وضمها نَسْلاً ونَسَلاً ونَسَلاناً في مشيه أسرع » •

ومنه قول امرىء القيس :

فإن تك ساءتك مني خليقــة فسلّي ثيابي من ثيابك تنسل

الاعراب :

(ونفــخ في الصور فإذا هــم من الأجداث إلى ربهم ينسلون) كلام مستأنف مسوق لتقرير البعث يوم القيامة • ونفخ فعــل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر تقديره هو وفي الصور متعلقان بنفخ والفاء حرف عطف وإذا الفجائية وهــم مبتــدأ ومن الأجداث متعلقان بينسلون وإلى ربهم متعلقان بينسلون أيضاً وجملة ينسلون خبر هم • (قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا) قالوا فعل وفاعل ويا حرف تنبيه أو حرف نداء والمنادى محذوف وويلنا مصدر لا فعل له من لفظه ونا مضاف إليه ويجوز أن يكون منادى مضافاً من النــداء المجازي أي يا ويل احضر فهذا أوانك ، ومن اسم استفهام في محل رفع مبتــدأ وجملة بعثنا خبر ومن مرقدنا متعلقان ببعثنا ويجوز في المرقد أن يكون مصدراً ميمياً أي من رقادنا ويجوز أن يكون اسم مكان

وقد أقيم المفرد مقام الجمع.(هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) هـذا مبتدأ وما اسم موصول خبر وجملة وعد الرحمن فعل وفاعل ومفعول وعـد محذوف أي وعـدنا وصدق المرسلون فعـل وفاعل والمفعول محذوف وعلى هذا الاعراب يكون الوقوف على مرقدنا تاماً ، ويجوز أن تكون ما مصدرية وهي مع مدخولها خبر هذا ، وأجاز الزمخشري وغـيره أن يكون اسم الاشارة نعتاً لمرقدنا فيوقف عليه وما وعد مبتدأ محذوف الخبر أو خبراً لمبتدأ محذوف والتقدير على الأول حق وعلى الثاني هذا أو بعثنا .

(إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لـدينا محضرون) إن نافية وكانت فعل ماض ناقص واسمها مستتر تقديره الصيحة وإلا أداة حصر وصيحة خبر كانت والفاء حرف عطف وإذا الفجائية وهم مبتدأ وجميع خبر ولدينا ظرف متعلق بمحضرون ومحضرون خبر ثان أو صفة لجميع . (فاليوم لا تظلم نفس شيئاً ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون) الفاء استئنافية واليوم ظرف متعلق بتظلم ولا نافية وتظلم فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وشيئاً مفعول مطلق ولا تجزون عطف على لاتظلم على طريق الالتفات وإلا أداة حصر وما مفعول به ثان لتجزون وجملة كنتم صلة وجملة تعملون خبر كنتم .

البلاغـة :

في قولـه : « قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقـدنا » استعارة تصريحية أصلية فقد استعار الرقاد للموت والجامع بينهما عدم ظهور الفعـل لأن كلاً من النائم والميت لا يظهر فيه فعـل والمراد الفعل الاختياري المعتد به فلا يرد أن النائم يصدر منه فعل وإنما قلنا انها

أصلية لأن المرقد مصدر ميمي كما تقدم وأما إذا جعلناه اسم مكان فتكون الاستعارة تبعية •

إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ * أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾

اللغــــة :

(شغل) : بسكون الغـين وضمها وقـد قرىء بهما معاً وفي القاموس : « الشغل بالضم وبضمتين وبالفتح وبفتحتين ضد الفراغ وجمعه أشغال وشغول وشغله كمنعه شغلاً ويضم ، وأشغله لغة جيدة أو قليلة أو رديئة واشتغل به وشُغِل كعُني ويقال منه ما أشغله وهو شاذ لأنه لا يتعجب من المجهول » وأنكر شارح القاموس أشغل وقال: لا يعرف نقله عن أحد من أئمة اللغة •

(فاكهون) : ناعمون أو متلذذون في النعمة من الفكاهة بالضم وهي التمتع والتلذذ مأخوذ من الفاكهة • قال الجوهري في صحاحه : الفكاهة بالضم: المزاح والفكاهة بالفتح مصدر فكه الرجل بالكسر فهو فكه

إذا كان طيب العيش فرحاً ذا نشاط من التنعم فإذا فسرنا قوله «فاكهون» بأنهم ناعمون كانت من الفكاهة بالفتح وفي القاموس: « الفاكهة : الثمر كله وقول مخرج التمر والعنب والرمان منها مستدلاً بقوله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان باطل مردود وقد بينت ذلك مبسوطاً في اللامع المعلم العجاب ، والفاكهاني بائعها وكخجلٍ : آكلها والفاكه صاحبها وفكههم تفكيهاً أتاهم بها والفاكهة : النخلة المعجبة واسم والحلواء وفكههم بملح الكلام تفكيهاً أطرفهم بها والاسم : الفكيهة والفكاهة بالضم وفكه كفرح فكهاً وفكاهة فهو فكه وفاكه طيب النفس ضحوك أو يحدث صحبه فيضحكهم ومنه تعجب كتفكه والتفاكه التمازح » .

(الأرائك) : جمع أريكة وهي السرير في الحجلة وقيل الفرش الكائن في الحجلة بفتحتين أو بسكون الجيم مع ضم الحاء وقيل مع كسرها والمراد بها نحو قبة تغلق على السرير وتزين به العروس .

(يدعون) مضارع ادعى بوزن افتعل من دعا يدعو وقد اشرب معنى التمني ، قال أبو عبيدة : « العرب تقول : ادع علي ما شئت أي تمن وفلان في خير ما يدعي أن يتمنى » وقال الزجاج : « هو من الدعاء أي ما يدعونه يأتيهم، وقيل افتعل بمعنى تفاعل أي ما يتداعونه» وقال الزمخشري : « يدعون يفتعلون من الدعاء أي يدعون به لأنفسهم كقولك اشتوى واجتمل إذا شوى وجمل لنفسه قال لبيد :

وغلام أرسلته أمه ... بألوك فبذلنا ما سأل

أرسلته فأتاه رزقه ... فاشتوى ليلة ريح واجتمل»

أي ورب غلام أرسلته أمه إلينا برسالة وهي هنا السؤال فبذلنا ما سأله من الطعام عقب سؤاله وبين ذلك بقوله : أرسلته فأتاه رزقه وفيه دلالة على انه لم يكن عندهم طعام حين أتاهم الغلام أي فأتاه رزقه من الصيد فاشتوى لنفسه من اللحم في ليلة ريح مظلمة يقل فيها الجود واجتمل أي أذاب الشحم ، وفي الصحاح : حميت الشحم واجتملته إذا أذبته •

الاعراب :

(إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون) كلام مستأنف مسوق لتقرير أحوال أهل الجنة إغاظة للكفار وتقريعاً لهم وزيادة في ندامتهم وحسرتهم • وإن واسمها واليوم ظرف متعلق بمحذوف حال وفي شغل خبر إن الثاني وفاكهون خبرها الأول ويجوز العكس ، ويجوز أن يتعلق في شغل بفاكهون أو في محل نصب على الحال ، وسيأتي معنى الشغل والفكاهة في باب البلاغة • (هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون) هم مبتدأ وأزواجهم عطف على هم وفي ظلال خبر أي لا تصيبهم الشمس لانعدامها بالكلية وعلى الأرائك متعلقان بمتكئون ومتكئون خبر ثان لهم ، ويجوز أن يتعلق قوله في ظلال بمحذوف حال • (لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون) لهم خبر مقدم وفيها متعلقان بمحذوف حال وفاكهة مبتدأ مؤخر ولهم خبر مقدم وما مبتدأ مؤخر والجملة معطوفة على الجملة السابقة ويجوز في ما أن تكون موصولة أو نكرة موصوفة أو مصدرية وجملة يدعون لا محل لها أو صفة •

(سلام قولاً من رب رحيم) اختلفت أقوال المعربين في إعراب هذه الآية وأوصل بعضهم القول فيها إلى ستة أوجه ، ونرى أن نثبت نص عبارة الشهاب السمين لوجاهتها قال : « قوله سلام : العامة على رفعه وفيه أوجه أحدها أنه خبر ما يدعون . الثاني أنه بدل من ما ، قاله الزمخشري ، قال الشيخ : وإذا كان بدلاً كان ما يدعون خصوصاً والظاهر أنه عموم في كل ما يدعونه وإذا كان عموماً لم يكن بدلاً منه. الثالث أنه صفة لما وهذا إذا جعلتها نكرة موصوفة أما إذا جعلتها بمعنى الذي أو مصدرية تعذر ذلك لتخالفهما تعريفاً وتنكيراً . الرابع أنه خبر ابتداء مضمر أي هو سلام . الخامس أنه مبتدأ خبره الناصب لقولاً أي سلام يقال لهم قولا وقيل تقديره سلام عليكم . السادس أنه مبتدأ وخبره من رب » وقولاً مصدر مؤكد لمضمون الجملة وهو مع عامله معترض بين المبتدأ والخبر وقال الزمخشري « والأوجه أن ينتصب على الاختصاص وهو من مجازه » وجعله السيوطي الجلال منصوباً بنزع الخافض وقال آخرونهو مصدر منصوب بفعل محذوف وهو مع عامله صفة لسلام أي يقول لهم وجملة سلام قولاً من رب رحيم في محل نصب معموله لقول محذوف ومن رب صفة لقولاً ورحيم صفة لرب .

(وامتازوا اليوم أيها المجرمون) وهذه الجملة معمولة لقول محذوف أيضاً أي ويقول لهم الله . وامتازوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل أي وانفردوا عن المؤمنين ، واليوم ظرف متعلق بامتازوا وأيها منادى نكرة مقصودة محذوف منه حرف النداء والهاء للتنبيه والمجرمون بدل . (ألم أعهد إليكم يا بني آدم) جملة منتظمة في سلك المقول لهم جارية مجرى التقريع والتوبيخوالتبكيت والإلزام.

والهمزة للاستفهام المتضمن هذه المعاني ولم حرف نفي وقلب وجزم وأعهد فعل مضارع مجزوم بلم وفاعله ضمير مستتر تقديره أنا وإليكم متعلق بأعهد ويا حرف نداء وبني منادى مضاف وآدم مضاف إليه • (أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين) أن مفسرة لأنها وقعت بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه ولا ناهية وتعبدوا فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والواو فاعل والشيطان مفعول به ويجوز أن تكون أن مصدرية فتكون هي ومدخولها في محل نصب بنزع الخافض ، أي ألم أعهد إليكم بترك عبادة الشيطان • وان واسمها ولكم متعلقان بعدو أو بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفه له وتقدمت وعدو خبر إن ومبين صفة والجملة تعليلية للنهي لا محل لها • (وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم) عطف على أن لا تعبدوا واعبدوني فعل أمر وفاعل ومفعول به وهذا مبتدأ وصراط خبر ومستقيم صفة والجملة تعليلية للأمر وسيأتي سر تقديم النهي على الأمر في باب البلاغة •

البلاغة :

في هذه الآيات ضروب من أفانين البلاغة نشير إليها فيما يلي :

١ ـ تنوين شغل وفيه تنويه بأن ما هم فيه من شغل أعلى من أن ترقى إليه رتبة البيان أو يستطيع وضعه اللسان كما أن في إبهامه إيجازاً انطوى تحته مالا يعد ويحصى من ضروب الملاذ التي يستمتعون بها في الجنان ، وأن ما عداها يعتبر كلا شيء كما أن فيه تصويراً لما أعده الله لعباده المتقين من ضروب المتعة وأفانين اللذة من افتضاض أبكار ، وسماع أوتار ، وتزاور في العشايا والأسحار ، وقد أكده بأنهم فاكهون ناعمون لا يشغل بالهم ما يشغل بال أهل الدنيا من تصاريف

الحياة ومشاغل السنين ولا ينغص صفوهم همٌّ طارىء أو غم نازل ، وان كل ما تمتد إليه الأعين وتسافر نحوه الظنون من صنوف الملاذ حاضر لديهم ينالونه وهم متكئون على الأرائك متمددون تحت الظلال مما ورد وصفه مجسّداً . وذلك كله على طريق الكناية ؛ وقد تقدم القول فيها مطولاً .

٢ ــ تنوين صراط وفيه تفخيم كما تقدم وإيجاز يشير إلى ما عهد إليهم من معصية الشيطان وطاعة الرحمن إذ لا صراط أقوم منه ومن نماذج هذا التنوين في الشعر قول كثير عزة :

لئن كان يهدي برد أنيابها العلا

لأفقر مني انني لفقير

وقيل هذا البيت من أبيات المجنون وقبله :

دعوت إلهي دعوة ما جهلتها وربي بما تخفي الصدور بصير

وبعده :

فما أكثر الأخبار أن قد تزوجت

فهل يأتيني بالطلاق بشير

وقوله لئن كان يهدي بيان للدعوة التي دعاها عن قصد وحضور قلب وما بينهما اعتراض للتأكيد وإفادة أن الدعوة كانت في السر أي لئن كان يعطي برد أسنانها العليا وخصها بالذكر لأنها أول ما يبدو عند التبسم لأحوج مني إنني لبليغ الفقر حقيق بأن أوصف به لكمال

شرائطه فيّ . ويجوز ان « برد أنيابها » كناية عن ذاتها كلها و « إنني لفقير » خبر مؤكد يدل على شدة الاحتياج وعظم الفاقة وأي فاقة أشد على العاشق من احتياجه إلى من يعشق يداوي أوصابه . وان في قوله « أن قد تزوجت » مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وهي على تقدير حرف الجر أي أتعجب من كثرة الأخبار المخبرة بزواجها وهل استفهام بمعنى التمني أو التعجب مجازاً مرسلاً لعلاقة مطلق الطلب أي أتمنى ذلك أو أتعجب من عدمه .

٣ ـ تقديم النهي على الأمر في قوله « ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم » وذلك لأن حق التخلية التقديم على التحلية كما هو مقرر في علم التوحيد وليتصل به قوله « هذا صراط مستقيم » .

وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾

اللغــة :

(جبلاً) : بكسر الجيم والباء وتشديد اللام كسجل ، وجبلاً بضم الجيم وسكون الباء وتخفيف اللام ، وجبلاً بضم الجيم وسكون الباء ، وجبلاً بكسر الجيم وسكون الباء وهذه اللغات في الجبل بمعنى الخلق أو طائفة منه أقلها عشرة آلاف والكثير لا يتناهى .

(اصلوها) : ذوقوا حرّها .

(مكانتهم) : المكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام والمعنى لمسخناهم مسخاً يجمدهم مكانهم لا يقدرون على مبارحته .

الاعراب :

(ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون) كلام مستأنف مسوق لتشديد التوبيخ وتأكيد التقريع واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وأضل فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو ومنكم جار ومجرور متعلقان بأضل وجبلاً مفعول به وكثيراً صفة والهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة ولم حرف نفي وقلب وجزم وتكونوا فعل مضارع ناقص مجزوم بلم والواو اسمها وجملة تعقلون خبرها . (هذه جهنم التي كنتم توعدون) كلام مستأنف مسوق لمجابهتهم بالمصير الهائل الذي يصيرون اليه بعد أن بلغ الغاية في توبيخهم وتقريعهم . واسم الاشارة مبتدأ وجهنم خبره والتي صفة وجملة كنتم صلة والتاء اسم كان وجملة توعدون خبرها .

(اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون) إصلوها فعل أمر وفاعل ومفعول به واليوم ظرف متعلق بإصلوها وبما متعلقان بإصلوها أيضاً والباء للسببية وما مصدرية أي بسبب كفركم وكنتم تكفرون كان واسمها وخبرها وجملة كنتم تكفرون لا محل لها • (اليوم نختم على أفواههم) اليوم ظرف زمان متعلق بنختم ونختم فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر تقديره نحن وعلى أفواههم متعلقان بنختم أيضاً • (وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) وتكلمنا أيديهم فعل مضارع ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر وسيأتي سر تكليم الأيدي، وتشهد أرجلهم عطف على تكلمنا أيديهم وبما متعلقان بتكلمنا وما مصدرية أو موصولة وكانوا كان واسمها وجملة يكسبون خبرها • (ولو نشاء لطمسنا على أعينهم) الواو عاطفة ولو شرطية ونشاء فعل مضارع وفاعل والمفعول به محذوف أي لو نشاء طمسها واللام واقعة في جواب لو وجملة طمسنا لا محل لها وعلى أعينهم متعلقان بطمسنا والطمس شق العين حتى تعود ممسوحة وفي المصباح « طمست الشيء طمساً من باب ضرب محوته » •

(فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون) الفاء عاطفة واستبقوا فعل وفاعل والجملة عطف على لطمسنا والصراط قال الزمخشري: « لا يخلو من أن يكون على حذف الجار وإيصال الفعل ، والأصل فاستبقوا الى الصراط أو يضمن معنى ابتدروا أو يجعل الصراط مسبوقاً لا مسبوقاً إليه أو ينتصب على الظرف ، والمعنى أنه لو شاء لمسح أعينهم فلو راموا أن يستبقوا إلى الطريق المهيع الذي اعتادوا سلوكه الى مساكنهم والى مقاصدهم المألوفة التي ترددوا إليها كثيراً كما كانوا يستبقون إليه ساعين في متصرفاتهم موضعين في أمور دنياهم لم يقدروا وتعايا عليهم أن يبصروا ويعلموا جهة السلوك فضلاً عن غيره أو لو شاء

لأعماهم فلو أرادوا أن يمشوا مستبقين في الطريق المألوف كما كان ذلك هجيراهم لم يستطيعوا أو لو شاء لأعماهم فلو طلبوا أن يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي فيه لعجزوا ولم يعرفوا طريقاً » وقال السمين : « والصراط ظرف مكان مختص عند الجمهور فلذلك تأولوا وصول الفعل إليه إما بأنه مفعول به مجازاً جعله مسبوقاً له وتضمين استبقوا معنى بادروا وإما على حذف الجار أي إلى الصراط » والفاء عاطفة وأنى اسم استفهام بمعنى كيف في محل نصب على الحال ويبصرون فعل مضارع وفاعل والاستفهام هنا معناه النفي أي لايبصرون ٠

(ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون) عطف على ما ولو شرطية ونشاء فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره نحن ومفعول نشاء محذوف أيضاً أي لو نشاء مسخهم واللام واقعة في جواب لو وجملة مسخناهم لا محل لها وعلى مكانتهم حال أي لمسخناهم على حالتهم فهم ممسوخون في محالهم وفي منازلهم، فما الفاء عاطفة وما نافية واستطاعوا فعل وفاعل ومضياًمفعول به ولا يرجعون عطف أيضاً أي فما يبرحون مكاناتهم ولا يستطيعون الفرار منها باقبال ولا بادبار ٠

وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم

مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾

اللغة :

(نعمره) : نطيل أجله ، وعمره الله بالتشديد أبقاه وقد تقدم ذكر هذه المادة بتفصيل واف .

(ننكسه) نقلبه أي فنجعله على عكس ما خلقناه فيتناقص حتى يرجع إلى حال شبيهة بحال الصبي . وفي القاموس وغيره « نكسه تنكيساً بالتشديد بمعنى نكسه ونكسه ينكسه من باب نصر نكساً قلبه على رأسه وجعل أسفله أعلاه ومقدمه مؤخره » وفي المصباح : « نكسته نكساً من باب قتل قلبته ومنه قيل ولد منكوس إذا خرج رجلاه قبل رأسه لأنه مقلوب مخالف للعادة ، ونكس المريض نكساً بالبناء للمجهول عاوده المرض كأنه قلب الى المرض » وقد جمع بعضهم معاني هذه المادة فقال :

قلب على رأس فهذا نكْس

والرجل الفسل الضعيف نِكْس

رجـوع داء بعـد برء ثكس
والناكس المـرخي لرأس فادر

ومن ريب أمر النون مع الكاف أنهما إذا وقعتا فاء وعيناً للكلمة دلت على أثر في الشيء ويكون مصحوباً بالايلام والايجاع.فنكأ القرحة قشرها قبل أن تبرأ فنكسها قال :

ولم تنسني أوفى المصيبـات بعـده
ولكنّ نكء القرح بالقرح أوجـع

ونكب عنه عـدل ونكب الإناء أراق ما فيه والنكبـة المصيبة وأثرها بليـغ ومنه الريح النكباء وهي التي تهب بين الصبا والشمال خاصة • ونكت الأرض بقضيبه أو بأصبعه ومرّ الفرس ينكت إذا نبا عن الأرض في عـدوه ونكت العظم أخرج مخـه وفلان نكّات في الأعراض أي طعّان فما يستعمله العامة قريب من الصحيح • ونكث الحبـل والسواك والسأف في أصول الأظفـار وقد انتكث بنفسه أي انتقض واختل وهـذه نكاثة الحبل : لما انتكثت من طرفـه ونكاثة السواك لما تشعّث من رأسه ، ومن مجازه نكث العهد والبيعة نقضهما وهو نكاث للعهود • ونكح المرأة واستنكحها • قال النابغة :

وهـم قتلوا الطائي بالحجر عنـوة
أبا جابر واستنكحـوا أم جابر

واستنكح النوم عيونهم • قال عمر بن أبي ربيعة :

واستنكح النوم الـــذين تخافهـــم

ورمى الكرى بوّابهـــم فتجـــدّلا

ونكد فلاناً حاجته منعه إياها أو لم يعطه إلا القليل منها ونكد الغراب استقصى في شحيحه ونكد العيش بكسر الكاف اشتد وعسر ونكد عيشه بالتشديد أي جعله نكداً وعطاء منكود ومنكّد أي قليل غير مهنأ . قال :

وأعط ما أعطيتــه طيبــاً   لا خير في المنكود والناكد

ونكّد عطاءه بالمنّ . وأنكر الشيء ونكره واستنكره وقيــل نكر بالكسر أبلغ من أنكره وهذا غريب وقيــل : نكر بالقلب وأنكر بالعين ، قال الأعشى :

وأنكـــرتني وما كان الــــذي نكـــرت

من الحوادث إلا الشيب والصلعـــــا

ونكزت الحية تنكز بأنفهـــا ونكز البحر غاض . ونكش البئر نزفها أو أخرج ما فيها من الطـــين فما تستعمله العامة لا غبار عليه . ونكص على عقبيه معروف ويقال : فلان حظه ناقص ، وجده ناكص . ونكف منه بكسر الكاف واستنكف : امتنع وانقبض أَنَفاً وحمية . ونكل عن اليمين وعن العدو نكولاً ونكلته عن كذا فطمته ونكلت به بالتشديد أصبته بنازلة أو جعلت غيره ينكل أن يفعل مثل فعله والقعاب النكال . ونكهته تشممت ريح فيه ونكه الشارب في وجهـــه ولا يخفى ما يحدثه من أثر وقد يأتي بمعنى الطيب يقـــال هو طيب النكهة وقد

استعملهـا أبو الشمقمق في المعنيين بقولـه يهجو داود بن بكر وكان والي الأهواز :

ولـه لحيـة تيس وله منقـار نسر
ولـه نكهـة ليـث خالطت نكهـة صقر

ونكيت في العدو نكاية إذا أكثرت الجراح ، تقول : فلان قليل النكاية طويل الشكاية ، قال :

قليـل النكاية أعـداءه يراعي الفرار يراخي الأجـل

الاعراب :

(ومن نعمره ننكسه في الخلق أفـلا يعقلون) كـلام مستأنف مسوق لاستعراض حال الانسان كيف يستحيل إلى ضعف بعـد قوة وإلى نقص بعد تمـام • ومن اسم شرط جازم ونعمره فعـل الشرط والفاعل مستتر تقديره نحن والهاء مفعول به وننكسه جواب الشرط والفاعـل مستتر تقـديره نحن والهاء مفعول به وفي الخلق متعلقان بننكسه أو بمحذوف حال والهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة على محذوف يقتضيه السياق ولا نافية ويعقلون فعل مضارع مرفوع وفاعله • (وما علمنـاه الشعر وما ينبغي له) كلام مستأنف مسوق للرد عـلى من زعموا أن القرآن شعر • وما نافية وعلمناه فعـل ماض وفاعـل ومفعول به والشعر مفعول به ثان وما عطف وينبغي فعـل مضارع معطوف على علمنـاه وله متعلقان بينبغي وسيأتي مزيد بيان حول هذا الموضوع •.

(إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) إن نافية وهو مبتدأ وإلا أداة حصر وذكر خبر وقرآن عطف عـلى ذكر ومبين صفة • (لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين) اللام للتعليل وينذر فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام والجار والمجرور متعلقان بمحذوف تدل عليه قرينة الكلام أي أنزل عليه لينذر ومن مفعول به وجملة كان صلة واسم كان ضمير مستتر تقـديره هو وحياً خبرها ويحق عطف عـلى لينذر والقول فاعل والمراد به العـذاب وعـلى الكافرين متعلقان بيحق •

(أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهـم لها مالكون) الهمزة للاستفهـام التقريري وقد تقدم أن في هـذا التركيب وجهين صحيحين أولهما أن أصل التركيب وألم يروا ولكن لما كان الاستفهام له الصدارة قدمت الهمزة على الواو ، والوجه الثاني أن يكون الكلام على حاله والواو عاطفة على محذوف يقتضيه السياق وقد جرينا على هذا الوجه في أكثر ما قدمناه والتقدير ألم يتفكروا ولم يروا وقد أعدناه هنا لطول العهد به • ولم حرف نفي وقلب وجزم ويروا فعل مضارع مجزوم بلم والواو فاعل والرؤية علمية وأنا وما في حيزها سدت مسد مفعولي يروا وأن واسمها وجملة خلقنا خبرها وخلقنا فعل وفاعل ولهم متعلقان بخلقنا أي لأجلهم وانتفاعهم ومما متعلقان بمحذوف حال وجملة عملت صلة والعائد محذوف أي عملته وأيدينا فاعل وأنعاماً مفعول خلقنا والفاء عاطفة وهم مبتدأ ولها متعلقان بمالكون ومالكون خبر هم وهي كالابل والبقر والغنم والخيل والحمير •

(وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون) وذللناها فعل ماض وفاعل ومفعول ولهم متعلقان بذللناها والفاء للتفريع ومنها خبر مقدم

وركوبهم مبتدأ مؤخر وفيها متعلقان بيأكلون ويأكلون فعل مضارع مرفوع وفاعل • (ولهم فيها منافع ومشارب أفــلا يشكرون) الواو عاطفة ولهم خبر مقدم وفيها حال ومنافع مبتدأ مؤخر ومشارب عطف عــلى منافع وهو جمــع مشرب مصــدر ميمي واسم مكان والهمزة للاستفهام الانكاري والفاء عاطفة كما تقدم ولا نافية ويشكرون فعل مضارع وفاعل • (واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون) الواو عاطفة على مقدر يستدعيه السياق أي ما فعلوا الشكر • واتخذوا فعل أمر وفاعل ومن دون الله في موضع المفعول الثاني لاتخــذوا وآلهــة مفعوله الأول ولعل واسمها وجملة ينصرون خبرها والواو نائب فاعل وجملة الرجــاء حالية أي حــال كونهم راجين النصر من آلهتهــم • (لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون) لا نافية ويستطيعون فعل مضارع وفاعل ، أسند ضمير العقلاء إلى آلهتهم تنزيلاً لها منزلة العقلاء ونصرهم مفعول به والواو للحال وهم مبتدأ ولهم حال من جند لأنه كان في الأصل صفة له وقدمت عليه وجند خبرهم ومحضرون خبر ثان لهم أو نعت لجند •

(فــلا يحزنك قولهــم إنا نعلــم ما يسرون وما يعلنون) الفاء الفصيحة أي ان علمت ما تقدم وأيقنت أنهم يعلّقون أطماعهم الفارغة على ما يستوجب الخسران ويستدعي تقويض الأحلام وتبديد الأوهام فــلا يحزنك قولهــم • ولا ناهية ويحزنك فعــل مضارع مجزوم بلا والكاف مفعول به وقولهم فاعل ثم علل النهي فقال : إنا بكسر الهمزة ولو فتحت لفسد المعنى ، وان واسمها وجملة نعلم خبرها والفاعــل مستتر تقديره نحن وما مفعول به وهي موصولة أو مصدرية وجملة

يسرون لا محل لها على كل حال أي الذي يسرونه أو اسرارهم وما يعلنون عطف على ما يسرون أي والذي يعلنون أو واعلانهم وللزمخشري فصل ممتع بين كسر همزة إن وفتحها نورده في باب الفوائد •

الفوائد :

حاول بعض المنتصرين للنثر ، الطاعنين على الشعر ، أن يحتج بأن القرآن كلام الله تعالى منثور ، وان النبي صلى الله عليه وسلم غير شاعر لقوله تعالى: « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » ويرى أنه قد أبلغ في الحجة ، ولكن الواقع أن الله تعالى لما بعث رسوله أمياً غير شاعر إلى قوم يعلمون منه حقيقة ذلك حين استوت الفصاحة واشتهرت البلاغة آية للنبوة ، وحجة على الخلق ، وإعجازاً للمتعاطين ، وجعله منثوراً ليكون أظهر برهاناً لفضله على الشعر الذي يترتب على صاحبه أن يكون قادراً على ما يحبه من الكلام ، وتحدي جميع الناس من شاعر وغيره بمثل مثله فأعجزهم ذلك ، فمن هنا قال الله تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » أي لتقوم عليكم الحجة ويصح قبلكم الدليل ، ويدحض أباطيلكم البرهان ، والمعنى : ان القرآن ليس بشعر ، وما هو من الشعر في شيء وأين هو عن الشعر ؟ والشعر إنما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى فأين الوزن ؟ وأين التقفية ؟ وأين المعاني التي ينتحيها الشعراء عن معانيه ؟ وأين نظم كلا منهم عن نظمه وأساليبه ؟ فإذن لا مناسبة بينه وبين الشعر ، قال الزمخشري : « فإن قلت فقوله :

أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

وقولـــه :

هل أنت إلاّ إصبع دميت وفي سبيل اللـــه ما لقيت

قلت : ما هو إلا كلام من جنس كلامه الذي كان يرمي به على السليقة من غير صنعة ولا تكلف إلا أنه اتفق ذلك من غير قصد إلى ذلك ولا التفات منه إليه أن جاء موزوناً كما يتفق في كثير من انشاءات الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم أشياء موزونة لا يسميها أحد شعراً ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع أنها شعر ، وإذا فتشت في كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع في أوزان البحور غير عزيز ، على أن الخليل ما كان يعد المشطور من الرجز شعراً » .

قلت : وقد تقـدم في موضـع آخر بحث مستفيض عن الشعر فجدد به عهداً .

بين كسر همزة إن وفتحها :

وقال الزمخشري في صدد قوله تعالى : « فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون » : « فإن قلت : فما تقول فيمن يقول : إن قرأ قارىء أنا نعلم بالفتح انتقضت صلاته وإن اعتقد ما يعطيه من المعنى كفر ؟ قلت : فيه وجهـان : أحدهما أن يكون عـلى حذف لام التعليل وهو كثير في القرآن وفي الشعر وفي كل كلام وقياس مطّـرد ، وهذا معناه ومعنى الكسر سواء ، وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الحمـد والنعمة لك ، كسر أبو حنيفـة وفتح الشافعي وكلاهما تعليـل . والثاني أن يكون بدلاً من قولهـم كأنه قيل فلا

يحزنك أنا نعلم ما يسرون وما يعلنون ، وهذا المعنى قائم مع المكسورة إذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين أن تعلّق الحزن بكون الله عالماً وعدم تعلقه لا يدوران على كسر إن وفتحها وإنما يدوران على تقديرك، فتفصل إن فتحت بأن تقدر معنى التعليل ولا تقدر البدل كما أنك تفصل بتقدير معنى التعليل إذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم إن قدرته كاسراً وفاتحاً على ما عظم فيه من الخطب ذلك القائل فما فيه إلا نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن على كون الله عالماً بسرهم وعلانيتهم وليس النهي عن ذلك مما يوجب شيئاً ؛ ألا ترى إلى قوله تعالى : « فلا تكونن ظهيراً للكافرين ، ولا تكونن من المشركين ، ولا تدع مع الله إلهاً آخر » •

أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

اللغــة :

(خصيم) : مخاصم مجادل والخصومة الجدل قال في القاموس: « خاصمه مخاصمة وخصومة فخصمه يخصمه غلبه وهو شاذ لأن فاعلته ففعلته يرد يفعل منه إلى الضم إن لم تكن عينه حرف حلق فإنه بالفتح كفاخره ففخره يفخره وأما المعتل كوجدتُ وبعت فيرد إلى الكسر إلا ذوات الواو فإنهـا ترد إلى الضم كراضيته فرضوته أرضوه وخاوفني فخفُته أخوفه وليس في كل شيء يقال نازعته لأنهم استغنوا عنه بغلبته واختصموا تخاصموا والخصم المخاصم والجمع خصوم وقد يكون للاثنين والجمع والمؤنث ، والخصيم المخاصم والجمع خصماء وخُصمان ورجل خَصِم كفرح مجادل والجمع خصمون ومن قرأ « وهم يخصِمون » أراد يختصمون فقلب التاء صاداً فأدغم ونقل حركته الى الخاء ومنهم من لا ينقل ويكسر الخاء لاجتماع الساكنين وأبو عمرو يختلس حركة الخاء اختلاساً وأما الجمع بين الساكنين فلحن ، والخصم بالضم الجانب والزاوية والناحية وطرف الزاوية الذي بحيال العزلاء في مؤخرها والجمع أخصام وخصوم واخصام العين ما ضُمت عليه الأشفار » وإنما نقلنا لك هذه المادة بطولها لفائدتها ولنبين لك مدى الوهم الذي وقع فيه صاحب المنجد فقد خلط فيها خلطاً عجيباً وجعل الأخصام جمعاً للخصم والخصيم وهو كما رأيت وهم من أوهام هذا الكتاب العجيب !!

(رميم) : بالية وفي المختار « رم بالفتح يرم بالكسر إذا بلي وبابه ضرب » فهو اسم لا صفة ولذلك لم يؤنث وقد وقع خبراً لمؤنث ، ولا هو فعيل بمعنى فاعل أو مفعول . وإيضاح هذا الكلام أن فعيلاً

بمعنى فاعل لا تلحق التاء في مؤنثه إلا إذا بقيت وصفية وما هنا انسلخ عنها وغلبت عليه الاسمية أي صار بالغلبة اسماً لما بلي من العظام •

الاعراب :

(أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين) كلام مستأنف مسوق لتقبيح إنكارهم البعث وقد سما الزمخشري في تقرير هذا المعنى كما سيأتي في باب الفوائد • والهمزة للاستفهام الإنكاري التعجبي ، والواو عاطفة وقد تقدم القول فيها مسهباً ولم حرف نفي وقلب وجزم وير فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة والانسان فاعل وأنا وما في حيزها سدت مسد مفعولي ير لأن الرؤية هنا علمية وأن واسمها وجملة خلقناه خبرها وخلقناه فعل وفاعل ومفعول به ومن نطفة جار ومجرور متعلقان بخلقناه والفاء حرف عطف وإذا فجائية وهو مبتدأ وخصيم خبر ومبين صفة وجملة إذا هو خصيم مبين عطف على جملة لم ير الانسان داخلة معها في حيز الإنكار والتعجب • (وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه) الواو عاطفة وضرب فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو ولنا متعلقان بضرب ومثلاً مفعول به ونسي عطف على ضرب وخلقه مفعول به والعطف داخل في حيز التعجب والإنكار أو الواو للحال بتقدير قد أي وقد نسي خلقه •

(قال من يحيي العظام وهي رميم) من اسم استفهام مبتدأ وجملة يحيي العظام خبر والواو حالية وهي مبتدأ ورميم خبر والجملة في موضع نصب على الحال • (قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) جملة يحييها مقول القول وهو فعل مضارع ومفعول

به والذي فاعل وجملة أنشأها صلة وأول مرة نصب على الظرف متعلق بأنشأها والواو استئنافية أو حالية وهو مبتدأ وبكل متعلقان بعليم وعليم خبر هو • (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون) الذي بدل من الذي الآنفة الذكر وجملة جعل صلة ولكم في موضع المفعول الثاني ومن الشجر الأخضر حالاً لأنه كان في الأصل صفة لناراً وناراً مفعول جعل الأول ، فإذا الفاء عاطفة وإذا فجائية وأنتم مبتدأ ومنه متعلقان بتوقدون وجملة توقدون خبر أنتم •

(أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم) الهمزة للاستفهام الإنكاري والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أليس الذي أنشأها أول مرة وليس الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً وليس الذي خلق السموات والأرض بقادر ، وليس فعل ماض ناقص والذي اسمها وجملة خلق السموات والأرض صلة والباء حرف جر زائد وقادر مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ليس وعلى حرف جر وأن وما في حيزها في محل جر بعلى والجار والمجرور متعلقان بقادر وفاعل مستتر تقديره هو ومثلهم مفعول به •

(بلى وهو الخلاق العليم) حرف جواب لإثبات النفي والواو عاطفة على ما يفيده الإيجاب أي بلى هو قادر على ذلك وهو الخلاق ، وهو مبتدأ والخلاق خبر والعليم خبر ثان • (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) إنما كافة ومكفوفة وأمره مبتدأ وإذا ظرف مستقبل وجملة أراد مضاف اليها الظرف وشيئاً مفعول به وأن وما في حيزها خبر أمره وله متعلقان بيقول وجملة كن مقول القول وكن فعل

أمر تام وفاعله مستتر تقديره أنت والفاء عاطفة ويكون فعل مضارع مرفوع لأنه وفاعله جملة في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف والجملة عطف على أمره وقرىء بالنصب عطفاً على يقول .

(فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون) الفاء الفصيحة وسبحان مفعول مطلق لفعل محذوف والذي مضاف إليه وبيده خبر مقدم وملكوت كل شيء مبتدأ مؤخر والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول وإليه الواو عاطفة وإليه متعلقان بترجعون وترجعون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل .

البلاغة :

حسن البيان :

في قوله : « وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه » الآيات . حسن البيان ، وحقيقته اخراج المعنى في أحسن الصور الموضحة له وإيصاله إلى فهم المخاطب بأقرب الطرق وأسهلها ، وقد تأتي العبارة عنه من طريق الإيجاز وقد تأتي من طريق الإطناب بحسب ما تقتضيه الحال ، وقد أتى بيان الكتاب العزيز في هذه الآية من الطريقين فكانت جامعة مانعة في الاحتجاج القاطع للخصم ، وقد أتى منفصلاً عما قبله لأنه سبحانه ذكر المثل وليس في الكلام كله لا قبله ولا بعده ما خرج مخرج المثل ولا ما يصح أن يكون مثلاً وهو أن أمية بن خلف أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم نخر في يده وقال يا محمد أنت تزعم ربك يحيي هذا بعد أن صار إلى هذه الحال فنزلت ، وفي رواية أنه العاصي بن وائل وقيل هو أبي بن خلف الجمحي .

وقد آن أن ننقل الفصل البليغ الذي أورده الزمخشري في صدد هذه الآيات قال : « قبح الله عز وجل إنكارهم البعث تقبيحاً لا ترى أعجب منه وأبلغ وأدل على تمادي كفر الانسان وإفراطه في جحود النعم وعقوق الأيادي ، وتوغله في الخسة ، وتغلغله في القحة حيث قرر أن عنصره الذي خلقه منه هو أخس شيء وأمهنه وهو النطفة المذرة الخارجة من الإحليل الذي هو قناة النجاسة ثم عجب من حاله بأن يتصدى مثله على مهانة أصله ودناءة أوله لمخاصمة الجبار ، وشرز صفحته لمجادلته ، ويركب متن الباطل ويلج ويمحك ويقول : من يقدر على إحياء الميت بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه في ألزم وصف له وألصقه به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر إنشاءه من موات وهي المكابرة التي لا مطمح وراءها .

وروي أن جماعة من قريش منهم أبي بن خلف الجمحي وأبو جهل والعاصي بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم أبي ألا ترون إلى ما يقول محمد إن الله يبعث الأموات ثم قال : واللات والعزّى لأصيرن إليه ولأخصمنه ، وأخذ عظماً بالياً فجعل يفته بيده وهو يقولّ : يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما قد رمّ ! قال صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم .

سورة الصافات

مكية وآياتها اثنتان وثمانون ومائة

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ (٤) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (٥) إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ (٧) لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (١٠)

اللغــة :

(دحوراً) : مصدر دحره أي طرده وأبعده وهو من باب خضع. وللدال مع الحاء فاء وعيناً للفعــل معنى القذف والطرد والدفع فمن ذلك دح الشيء في الأرض أي دسه فيها ودح الطعام بطنه ملأه حتى

يسترسل إلى أسفل ودح الرجل : دعّه في قفاه والعامة تستعمله بهذا المعنى فيقولون : دحّه على ظهره فهي من العامي الفصيح • ودحرج الشيء فتدحرج : أي قلبه وأداره على نفسه متتابعاً في حدور فانقلب • ودحس بين القوم أفسد بينهم ودحس الشيء ملأه ودحس برجله فحص ويقال ما بي من داحس وهو تشعث الإصبع وسقوط الظفر وما تسميه العامة ورم حار في طرف الإصبع فهي عربية فصيحة قال مزرّد :

تَشَاخَتَ إبهـــاماك إن كنــت كاذباً

ولا برئا من داحس وكُنَـــاع

وخرج الحجاج في بعض الليالي فسمع صوتاً هائلاً فقال : إن كان هذا صاحب عائر أو قادح أو داحس فلا تحدث شيئاً وإلا فأخرج لسانه من قفاه أي صاحب رمد أو وجع ضرس ، ويقال للرجل والدابة إذا أصابهما الجرح فارتكضا للموت : تركته يفحص ويدحَص الأرض برجله • ودحضت رجله زلقت دحضاً ودحوضاً وأدحض فلان قدمه ومَزْلَقَةٌ مدحاض وهذه مَدْحضة القدم ودحض الحجة أبطلها • ودحقه يدحقه من باب فتح دحقاً : طرده وأبعده ودحقت الرحم بماء الفحل رمت به فلم تقبله ودحقت الحامل بولدها أجهضته وولد دحيق وقيل : دحقت به : ولدته وأصابها دُحاق وهو أن تخرج رحمها بعد الولادة وهي دحوق وداحق وأدحقه الله باعده من الخير وهو دحيق تقول : أسحقه الله وأدحقه وهو سحيق دحيق • ودحل : توارى في دحل وهو حفرة غامضة ضيقة الأعلى واسعة الأسفل تقول : طُلبوا بالذحول فتواروا في الدحول ودحل البئر : حفر في جوانبها ونصب الصائد الدواحيل وهي مصائد للحمر الواحد داحول وبئر دحول

ذات تلحف وهو تكسر جوانبها مما أكله من الماء فما يستعمله العامة منها محرف ولم يرد في اللغة بهذا المعنى إلا على مجاز بعيد وتسميتهم أخيراً المدحلة بالمعنى الشائع فيه تسامح ولكننا نتسامح به أيضاً • ودحمه دحماً دفعه دفعاً شديداً فاستعمال العامة لها بهذا المعنى لا غبار عليه • ودحمس الليل أظلم أو ألقى بظلامه على كل شيء • ودحمل به دحرجه على الأرض • ودحا الله الأرض : افترشها وبسطها ودحا المطر الحصى عن وجه الأرض أي دفعها وبابه نصر وفتح يقال دحا يدحو ودحى يدحى وليس معنى البسط أنها ليست كالكرة ولكنها ممدودة متسعة كما يأخذ الخباز الفرزدقة فيدحوها • قال ابن الرومي :

ما أنسى لا أنسى خبازاً مررت به
يدحو الرقاقة مثل اللمح بالبصر

ما بين رؤيتها في كفه كرة
وبين رؤيتها قوراء كالقمر

إلا بمقدار ما تنداح دائرة
في لجة الماء يرمي فيه بالحجر

وهذا من أعاجيب لغتنا العربية الشريفة •

(واصب) : دائم وفي المختار وصب الشيء يصب بالكسر وصوباً دام ومنه قوله تعالى « وله الدين واصباً » وقوله تعالى « ولهم عذاب واصب » •

(فأتبعه) : في المختار : تبعه من باب طرب إذا مشى خلفه أو مرّ به فمضى معه وكذا اتبعه وهو افتعل وأتبعه على أفعل وقال الأخفش : تبعه وأتبعه بمعنى مثل ردفه وأردفه ومنه قولـه تعالى « فأتبعه شهاب ثاقب » .

(ثاقب) : أي يثقبـه أو يحرقه ونقل القرطبي في تفسير الثاقب قولين : قيل بمعنى المضيء وقيل بمعنى المستوقد من قوله : اثقب زندك أي استوقد نارك وقـال البيضاوي : ثاقب مضيء كأنه يثقب الجو بضوئه » ولهـذه المادة عجائب في التنويـع والتصرف ففي الأساس واللسان : « ثقب الشيء بالمثقب وثقب القداح عينه ليخرج الماء النازل وثقب اللآل الدر ، ودر مثقب وعنده در عذارى : لم يثقّبن وثقّبن البراقع لعيونهن قال المثقب العبدي :

أرين محاسناً وكنن أخرى وثقبن الوصاوص للعيـون

وبه سمي المثقّب . وكوكب ثاقب ودرّيء : شـديد الإضاءة والتلألؤ كأنه يثقب الظلمة فينفذ فيها ويدرؤها ورجـل ثقيب وامرأة ثقيبة مشبهان للهب النار في شدة حمرتهما وفيهما ثقابة وحسب ثاقب : شهير ، ورجل ثاقب الرأي إذا كان جـزلاً نظّاراً ، وأتتني عنك عين ثاقبة أي خبر يقين وثقب الطائر إذا حلق كأنه يثقب السكاك وثقّب الشيب في اللحية أخذ في نواحيها .

الاعراب :

(والصافات صفاً) الواو حرف قسم وجر والصافات مجرور بواو القسم والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره أقسم ،

والصافات اسم فاعل من صف قيل هم الملائكة المصطفون في السماء يسبحون لهم مراتب يقومون عليها صفوفاً كما يصطف المصلون وقيل هم المجاهدون وقيل هم المصلون وقيل هي الطير الصافات أجنحتها كقوله والطير صافات، وفي الصافات ضمير مستتر هو الفاعل والمفعول به محذوف أي نفوسها أو أجنحتها وصفاً مفعول مطلق مؤكد .

(فالزاجرات زجراً) الفاء حرف عطف ، قال الزمخشري : « فإن قلت ما حكم الفاء إذا جاءت عاطفة في الصفات ؟ قلت : إما أن تدل على ترتب معانيها في الوجود كقوله :

يا لهف زيابة للحارث الصا بح فالغانم فالآيب

كأنه قيل الذي أصبح فغنم فآب ، وإما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك خذ الأفضل فالأكمل واعمل الأحسن فالأجمل ، وإما على ترتب موصوفاتها في ذلك كقوله : رحم الله المحلقين فالمقصرين ، فعلى هذه القوانين الثلاثة ينساق أمر الفاء العاطفة في الصفات ، وسيأتي تعقيب مفيد على هذا التقرير في باب البلاغة . والزاجرات عطف على الصافات والمراد بها قيل نفوس العلماء لأنها تزجر العصاة بالنصائح والمواعظ أو الملائكة ترجر السحاب أي تسوقه وزجراً مصدر مؤكد أيضاً . (فالتاليات ذكراً) قيل أراد نفوس العلماء لأنها تتلو آيات الله وتدرس شرائعه وقيل نفوس قواد الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل وتتلو الذكر مع ذلك لا تشغلها عنه تلك الشواغل وذكراً مفعول مطلق لأنها في معنى التاليات ويجوز أن تكون مفعولاً به للتاليات ، وسيأتي معنى القسم بهذه الأشياء في باب الفوائد .

(إن إلهكم لواحد) الجملة لا محل لها لأنها جواب القسم وإن واسمها واللام المزحلقة وواحد خبرها • (رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق) رب السموات بدل من واحد أو خبر ثان أو خبر لمبتدأ محذوف وما عطف على السموات والظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول ورب المشارق عطف على رب السموات وسيأتي سر إعادة الرب وعدم ذكر المغارب في باب البلاغة • (إنا زيّنا السماء الدنيا بزينة الكواكب) كلام مستأنف مسوق لتقرير لطائف صنعه وبديع خلقه • وان واسمها وجملة زينا خبرها وزينا فعل ماض ونا فاعل والسماء مفعول به والدنيا صفة أي القريبة منكم والتي تتراءى لأعينكم وهي الجديرة بالتدبر والاعتبار وبزينة جار ومجرور متعلقان بزينا والكواكب عطف بيان أو بدل لزينة وهناك قراءات أخرى وأعاريب طريفة سنوردها في باب الفوائد • (وحفظاً من كل شيطان مارد) الواو عاطفة وحفظاً في نصبه أوجه أرقاها من جهة المعنى ما نحا إليه الزمخشري قال : « وحفظاً مما حمل على المعنى لأن المعنى إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظاً من الشيطان كما قال تعالى : « ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين » ويجوز أن يقدر الفعل المعلل كأنه قيل وحفظاً من كل شيطان زيناها بالكواكب وقيل وحفظناها حفظاً » وهذا الوجه الثاني أسهل من حيث الاعراب وقال الشهاب الحلبي المعروف بالسمين: «وحفظاً إما منصوب على المصدر بإضمار فعل أي حفظناها حفظاً وإما على المفعول من أجله على زيادة الواو والعامل فيه زينا أو على أن يكون العامل مقدراً أي لحفظها زيناها أو على الحمل على المعنى المتقدم أي إنا خلقنا السماء الدنيا زينة وحفظاً » واقتصر أبو البقاء على المفعولية المطلقة ومن كل

شيطان متعلقان بحفظاً إن لم يكن مصدراً مؤكداً وبالمحذوف إن جعل مصدراً مؤكداً ويجوز أن يكون صفة لحفظاً .

(لا يسّمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب) في إعراب هذه الجملة كلام كثير ونقاش طويل نرجئه إلى باب الفوائد . ولا نافية ويسمعون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل وإلى الملأ الأعلى متعلقان بيسمعون وسيأتي سر هذا التعدي في باب الفوائد ، والأعلى صفة للملأ ويقذفون الواو عاطفة ويقذفون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل ومن كل جانب متعلقان بيقذفون أي من أي جهة صعدوا ليسترقوا السمع . (دحوراً ولهم عذاب واصب) دحوراً مفعول من أجله أي يقذفون للدحور أو مدحورين على الحال أو مفعول مطلق وينوب عن المصدر مرادفه والقذف والطرد متقاربان والواو عاطفة ولهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وواصب نعت لعذاب . (إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) إلا أداة حصر واستثناء لأن الكلام تام منفي ومن في محل رفع بدل من الواو على الأول أو في محل نصب على الاستثناء على الثاني ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعاً فيتعين النصب على الاستثناء والخطفة مفعول مطلق فهو مصدر معرف بأل الجنسية أو العهدية ، فأتبعه الفاء عاطفة وأتبعه فعل ومفعول به مقدم وشهاب فاعل مؤخر وثاقب نعت لشهاب .

البلاغـة :

التقديم والتأخير :

أثبتنا في باب الإعراب تقرير الزمخشري عن الفاء العاطفة

للصفات وقد انتهى الزمخشري من تقريره الى القول ، فعلى هذا إن وحدت الموصوف كانت للدلالة على ترتيب الصفات في التفاضل وإن ثلثته فهي للدلالة على ترتيب الموصوفات فيه ، ومعنى توحيدها أن تعتقد أن صنفاً مما ذكر في التفاسير المذكورة جامع للصفات الثلاث ، على أن الأول هو الأفضل أو على العكس ، ومعنى تثليثها أن تجعل كل صفة لطائفة ويكون التفاضل بين الطوائف إما أن الأول هو الأفضل أو على العكس • ووجهة الزمخشري قوية وتقريره ممتع مفيد ولكنه لم يبين وجه كل واحد منهما وخلاصة ما يقال فيه أن للعرب في التقديم مذهبان أولهما :

١ ـ الاعتناء بالأهم فهم يقدمون ما هو أولى بالعناية وأجدر بأن يقرع السمع •

٢ ـ الترقي من الأدنى إلى الأعلى ، ومنه قوله :

بهاليل منهم جعفر وابن أمه   علي ومنهم أحمد المتخير

ولا يقال إن هذا إنما ساغ لأن الواو لا تقتضي رتبة فإن هذا غايته أنه عذر وما ذكرناه بيان لما فيه من مقتضى البديع والبلاغة •

كلمة عامة في التقديم والتأخير :

هذا وقد عقد عبد القاهر فصلاً مطولاً في كتابه دلائل الإعجاز عن التقديم والتأخير يرجع إليه القارىء إن شاء ، ونلخص هنا ما قاله علماء المعاني في صدد التقديم والتأخير ، فمن المعلوم أنه لا يمكن النطق بأجزاء الكلام دفعة واحدة بل لا بد من تقديم بعض الأجزاء وتأخير البعض وليس شيء منها في نفسه أولى بالتقدم من الآخر

لاشتراك جميع الألفاظ من حيث هي ألفاظ في درجة الاعتبار فلا بد لتقديم هذا على ذاك من داع يوجبه وهذه الدواعي كثيرة فمنها :

١ ـ التشويق إلى المتأخر إذا كان المتأخر مشعراً بغرابة كقول أبي العلاء :

والـذي حارت البرية فيـه حيوان مستحدث من جمـاد

٢ ـ تعجيل المسرة أو المساءة نحو العفو عنك صدر به الأمر أو القصاص حكم به القاضي .

٣ ـ كون المتقدم محط الانكار والتعجب نحو : أبعد طول التجربة تنخدع ؟

٤ ـ النص على عموم السلب أو سلب العموم فالأول يكون بتقديم أداة العموم على أداة النفي نحو : كل ذلك لم يقع أي لم يقع هذا ولا ذاك والثاني يكون بتقديم أداة النفي على أداة العموم نحو : لم يكن كل ذلك أي لم يقع المجموع فيحتمل ثبوت البعض ويحتمل نفي كل فرد .

٥ ـ التخصيص نحو : ما أنا قلت ، وإياك نعبد .

٦ ـ ومما يرى عبد القاهر تقديم الاسم فيه كاللازم (مثل) و (غير) في نحو قوله :

مثلك يثني المزن عن صوبـه ويسترد الدمـــع عن غربه

وقول أبي تمام :

وغـيري يأكل المعروف سحتاً وتشحب عنده بيض الأيادي

وفي التعبير الأول لا يقصد بمثل الى إنسان سوى الذي أضيف إليه ولكنهم يعنون أن كلّ من كان مثله في الحال والصفة كان من مقتضى القياس ، وموجب العرف والعادة أن يفعل ما ذكر وأن لا يفعل وكذلك في التعبير الثاني لا يراد بغير أن يومىء الى إنسان فيخبر عنه بأنه يفعل بل لم يرد إلا أن يقول : لست ممن يأكل المعروف سحتاً .

الفوائـد :

١ ــ الواو في هذا التركيب :

مذهب سيبويه والخليل في مثل « والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى » ان الواو الثانية وما بعدها عواطف وغـير الخليل وسيبويه يذهب الى أنهـا حروف قسم ، فوقوع الفـاء في « والصافات صفاً فالزاجرات زجراً فالتاليات ذكراً » موقع الواو والمعنى واحد إلا أن ما تزيده الفاء من ترتيبها دليل واضح على أن الواو الواقعة في مثل هذا السياق للعطف لا للقسم .

٢ ــ معنى القسم :

اختلف الناس في المقسم به والراجح هو أن المقسم به هــذه الأشياء لظاهر اللفظ فالعدول عنه خلاف الدليل وأما النهي عن الحلف بغير الله فهو نهي للمخلوق عن ذلك ، والقول الثاني أن المقسم به هو رب هذه الأشياء لنهيه صلى الله عليه وسلم عن الحلف بغير الله تعالى

فلا بد من إضمار كلمة « رب » وتقدير الكلام ورب الصافات صفاً الخ وعلى كل حال ففي هذا القسم تنويه بهذه الأشياء وتعظيم لها وسيرد المزيد من هذا الحديث .

٣ ــ في إعراب « بزينة الكواكب » :

قال الشهاب الحلبي المعروف بالسمين: « قوله بزينة الكواكب » قرأ أبو بكر بتنوين زينة ونصب الكواكب وفيه وجهان أحدهما أن تكون الزينة مصدراً وفاعله محذوف تقديره بأن زين الله الكواكب في كونها مضيئة حسنة في أنفسها ، والثاني أن الزينة اسم لما يزان به كالليقة لما تلاق به الدواة فتكون الكواكب على هذا منصوبة بإضمار أعني أو تكون بدلاً من سماء الدنيا بدل اشتمال أي كواكبها أو من محل بزينة ، وحمزة وحفص كذلك إلا أنهما خفضا الكواكب على أن يراد بزينة ما يزان به والكواكب بدل أو بيان للزينة والباقون بإضافة زينة الى الكواكب وهي تحتمل ثلاثة أوجه أحدها أن تكون إضافة أعم إلى أخص فتكون للبيان نحو ثوب خز والثاني أنها مصدر مضاف لفاعله أي بأن زينت الكواكب السماء بضوئها والثالث أنه مضاف لمفعوله أي بأن زينها الله بأن جعلها مشرقة مضيئة في نفسها .

٤ ــ إعراب جملة لا يسمعون :

أفاض المعربون والمفسرون والنحاة في إعراب هذه الجملة ، ونورد هنا مختارات من أقوال المشهورين منهم ونبدأ بالزمخشري :

« فإن قلت لا يسمعون كيف اتصل بما قبله ؟ قلت : لا يخلو من أن يتصل بما قبله على أن يكون صفة لكل شيطان أو استئنافاً فلا

تصح الصفة لأن الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يتسمعون لا معنى له وكذلك الاستئناف لأن سائلاً لو سأل : لم تحفظ من الشياطين فأجيب بأنهم لا يسمعون لم يستقم فبقي أن يكون كلاماً منقطعاً مبتدأ اقتصاصاً لما عليه حال المسترقة للسمع وأنهم لا يقدرون أن يسمعوا الى كلام الملائكة أو يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب مدحورون عن ذلك ، إلا أن من أمهل حتى خطف خطفة واسترق استراقة فعندها تعاجله الهلكة باتباع الشهاب الثاقب » ومضى الزمخشري في تقريره قائلاً : « فإن قلت : هل يصح قول من زعم أن أصله لئلا يسمعوا فحذف اللام كما حذفت في قولك جئتك أن تكرمني فبقي أن لا يسمعوا فحذفت أن وأهدر عملها كما في قول طرفة :

ألا أيها ذا الزاجري أحضر الوغى

وأن اشهد اللذات هل أنت مخلدي

قلت : كل واحد من هذين الحذفين غير مردود على انفراده فأما اجتماعهما فمنكر من المنكرات على أن صون القرآن عن مثل هذا التعسف واجب » .

وتعقبه ابن المنير صاحب الانتصاف فقال : « كلا الوجهين مستقيم والجواب عن إشكاله الوارد على الوجه الأول أن عدم سماع الشيطان سببه الحفظ منه فحال الشيطان حال كونه محفوظاً منه هي حاله حال كونه لا يسمع وإحدى الحالين لازمة للأخرى فلا مانع أن يجتمع الحفظ منه وكونه موصوفاً بعدم السماع في حالة واحدة لا على أن عدم السماع ثابت قبل الحفظ بل معه وقسمه . وظير هذه الآية قوله تعالى : وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ، فقوله مسخرات

حال مما تقدمه العامل فيه الفعل الذي هو سخر ومعناه مستقيم لأن تسخيرها يستلزم كونها مسخرة فالحال التي سخرت فيها هي الحال التي كانت فيها مسخرة لا على معنى تسخيرها مع كونها مسخرة قبل ذلك ، وما أشار إليه الزمخشري في هذه الآية قريب من هذا التفسير إلا أنه ذكر معه تأويلاً آخر كالمستشكل لهذا الوجه فجعل مسخرات جمع مسخر مصدر كممزّق وجعل المعنى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر أنواعاً من التسخير وفيما ذكرناه كفاية ومن هذا النمط : ثم أرسلنا رسلنا ، وهم ما كانوا رسلاً إلا بالإرسال وهؤلاء ما كانوا لا يسمعون إلا بالحفظ وأما الجواب على إشكاله الثاني فورود حذفين في مثل قوله تعالى : يبين الله لكم أن تضلوا ، وأصله لئلا تضلوا فحذف اللام ولا جميعاً من محليهما » .

وقال الشهاب الحلبي المعروف بالسمين : « وهذه الجملة منقطعة عما قبلها في الإعراب ولا يجوز فيها أن تكون صفة لشيطان على المعنى إذ يصير التقدير من كل شيطان مارد غير سامع أو مستمع وهو فاسد ولا يجوز أيضاً أن يكون جواباً لسؤال سائل لم تحفظ من الشيطان إذ يفسد معنى ذلك وقال بعضهم : أصل الكلام لئلاِ يسمعوا فحذفت اللام وإن وارتفع الفعل وفيه تعسف ، وقد وهم أبو البقاء فجوز أن تكون صفة وأن تكون حالاً وأن تكون مستأنفة فالأولان ظاهرا الفساد والثالث إن عني به الاستئناف البياني فهو فاسد أيضاً وإن أراد الانقطاع على ما قدمته فهو صحيح .

أما عبارة أبي البقاء التي شجبها السمين فهي :« قوله تعالى : لا يسمعون جمع على معنى كل وموضع الجملة جر على الصفة أو نصب على الحال أو مستأنف وعدّاه بإلى حملاً على معنى يصفون » .

أما ابن هشام فقد عقد في المغني تنبيهاً خاصاً حول هذه الجملة فقال : من الاستئناف ما قد يخفى وله أمثلة كثيرة أحدها لا يسمعون من قوله تعالى : وحفظاً من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملأ الأعلى، فإن الذي يتبادر الى الذهن أنه صفة لكل شيطان أو حال منه وكل منهما باطل إذ لا معنى للحفظ من شيطان لا يسمع وإنما هي للاستئناف النحوي ولا يكون استئنافاً بيانياً لفساد المعنى أيضاً ، وقيل يحتمل أن الأصل لئلا يسمعوا ثم حذفت اللام كما في جئتك أن تكرمني ثم حذفت أن فارتفع الفعل كما في قوله :

ألا أيهاذا الزاجري احضر الوغى ... ...

فحين رفع أحضر ، واستضعف الزمخشري الجمع بين الحذفين ، فإن قلت اجعلها حالاً مقدرة أي وحفظاً من كل شيطان مارد مقدراً عدم سماعه بعد الحفظ قلت الذي يقدر وجود معنى الحال هو صاحبها كالممرور به في قولك مررت برجل معه صقر صائداً به غداً أي مقيداً حال الممرور به أن يصيد غداً ، والشياطين لا يقدرون عـدم السماع ولا يريدونه .

ملاحظة هامة :

الاستئناف قسمان : بياني ونحوي : أما البياني فهـو ما كان جواباً لسؤال مقدر نحو قوله تعالى : « هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا : سلاماً قال سلام قوم منكرون » فإن جملة القول الثانية جواب لسؤال مقدر تقديره فماذا قال لهم ولهذا فصلت عن الأولى فلم تعطف عليها ، وأما النحاة فقالوا : هي المقتطعة عما قبلها سواء كانت جواباً عن سؤال أم لا ، فالاستئناف عندهم أعم .

هـذا وقد ردّ الدماميني على ابن هشام فقال : إذا كانت للاستئناف النحوي فيكون قد أخبر عن الشياطين المتحفظ منهم بعدم السماع وحينئذ يعود الإشكال بأنه كيف يتحفظ من شيطان لم يسمع في نفس الأمر ، إذ المتحفظ منه من يسمع ، فإن قلت : إن المراد لا يسمعون بعد الحفظ قلنا قدر ذلك في الصفة ويكون المعنى لا غبار عليه فما بالك قدرته في الاستئناف النحوي دون الصفة مع أن المعنى على كل حال ظاهر فهذا تحكم . وأجاب الشمني بأنه إخبار عن حال الشياطين لا يوصف كونه محفوظاً منهم وفيه أنه لا يصح الإخبار عنهم بعدم السماع مع قطع النظر عن الحفظ لأنهم يحفظون في نفس الأمر وما الى عدم السماع إلا من الحفظ وإلا لما كان للحفظ معنى .

والذي حدانا إلى إيراد هذه الأقوال ما فيها من رياضة ذهنية ولعل ابن المنير كفانا مئونة الرد على هذه الأقوال فارجع إليه وتمعن فيه فإنه قد أصاب المحز .

فرق دقيق :

قال الزمخشري : « فإن قلت أي فرق بين سمعت فلاناً يتحدث وسمعت إليه يتحدث ، وسمعت حديثه والى حديثه ؟ قلت : المعدى بنفسه يفيد الإدراك والمعدى بإلى يفيد الإصغاء مع الإدراك » .

فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾

وَإِذَا رَأَوْاْ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾

اللغـــة :

(فاستفتهم) : فاستخبرهم يقـــال استفتى استفتاء العالم في مسألة : سأله أن يفتيه فيها والفُتوى والفَتوى والفُتيا اسم من أفتى العالم إذا بيّن الحكم والجمع الفتاوي والفتاوى •

(لازب) : لازم لاصق يقال لزب يلزب لزوباً من باب دخل : اشتـــد وثبت ولزب به : لصق ولزب يلزب لزباً من بـــاب تعب ولزب يلزب لزباً ولزوباً من باب كرم الطين: لزق وصلب ولزب الشيء: دخل بعضه في بعض واللازم اسم فاعل الثابت يقال صار الأمر ضربة لازب أي صار لازماً ثابتاً وطين لازب يلزق باليد لاشتدادهوفي المختار: « تقول : صار الشيء لازباً أي ثابتاً وهو أفصح من لازماً » •

وقال النابغة :

ولا تحسبون الخـــير لا شر بعـــده

ولا تحسبون الشـــر ضـــربة لازب

(داخرون) : صاغرون يقـــال دخر يدخر من باب فتح ودخر يدخر من باب تعب دخراً ودخوراً أي ذل وصغر •

الاعراب :

(فاستفتهم أهم أشد خلقاً أم من خلقنا) الفاء الفصيحة أي أن شئت أن تبكتهم وترد عليهم في أمر اثبات المعاد فاستفتهم لأن الفرق بيّن والبون بعيد بين المعاد وهو الأجزاء الأصلية كما سيأتي ولك أن تجعلها الفاء العاطفة المعقبة أي استفتهم عقب عدّ هذه الأشياء المذكورة آنفاً . واستفتهم فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والفاعل مستتر وجوباً تقديره أنت والهاء مفعول به والهمزة للاستفهام وهم مبتدأ وأشد خبر وخلقاً تمييز وأم حرف عطف وهي هنا متصلة عطفت من على هم وجملة خلقنا صلة الموصول . (إنا خلقناهم من طين لازب) إن واسمها وجملة خلقناهم خبر وخلقناهم فعل وفاعل ومفعول ومن طين جار ومجرور متعلقان بخلقناهم ولازب نعت لطين ، وناهيك بهذا دليلاً على ضعفهم وهو أن أمرهم وضآلة شأنهم وأن من كان بهذه المثابة لا يتأتى له أن يتكبر ويتطاول . (بل عجبت ويسخرون) بل حرف اضراب وعطف والمعطوف عليه مقدر دل عليه الاستفهام أي هم لا يقرون ، وعجبت فعل وفاعل والخطاب للنبي والمتعلق محذوف أي من قدرة الله على هذه الخلائق العظيمة . وفي قراءة بضم التاء وإسناد العجب الى الله تعالى محال لأن العجب روعة تعتري الإنسان عند استعظامه الشيء وذلك على الله تعالى محال ولكن الكلام جرى على طريق تخيل العجب وافتراضه على طريق المشاكلة وقد تقدمت لها أمثلة. والواو حالية وجملة يسخرون خبر لمبتدأ محذوف أي وهم يسخرون والجملة نصب على الحال .

(وإذا ذكروا لا يذكرون) الواو عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة ذكروا في محل جر بإضافة الظرف اليها

وذكروا بالبناء للمجهول والتشديد والواو نائب فاعل ولا نافية وجملة لا يذكرون لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم أي وديدنهم عدم الاتعاظ بشيء مهما يكن جديراً بالاعتبار • (وإذا رأوا آية يستسخرون) عطف على ما تقدم والمراد بالآية المعجزة التي تدعو الى الاذعان ولكن هؤلاء لا تؤثر فيهم المعاجز ومعنى الاستسخار دعوة بعضهم لبعض بالسخرية أو أن زيادة السين والتاء لمجرد المبالغة في السخر • (وقالوا إن هذا إلا سحر مبين) الواو عاطفة وقالوا فعل وفاعل وإن نافية وهذا مبتدأ وإلا أداة حصر وسحر خبر هذا ومبين نعت أي ظاهر للعيان والجملة مقول القول • (أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون) الجملة مقول قول محذوف أيضاً أي وقالوا منكرين للبعث، والهمزة للاستفهام الإنكاري وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة متنا في محل جر بإضافة الظرف اليها وكنا فعل ماض ناقص ونا اسمها وتراباً خبرها وعظاماً عطف على تراباً والهمزة للاستفهام الإنكاري أيضاً وان واسمها واللام المزحلقة ومبعوثون خبرها •

(أو آباؤنا الأولون) الهمزة للاستفهام والواو حرف عطف وآباؤنا معطوف على محل إن واسمها أو على الضمير في مبعوثون وإنما جاز العطف مع أن ما بعد همزة الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله أن الهمزة الثانية مؤكدة للأولى فهي في النية مقدمة فصحّ عمل ما قبلها فيما بعدها ، ولك أن تعرب آباؤنا مبتدأ محذوف الخبر والتقدير أو آباؤنا يبعثون أيضاً وقرىء أو بسكون الواو فهي حرف عطف وليس هناك همزة استفهام وفيما يلي تقرير السمين عن هذه الآية :

« قولـه أو آباؤنا قرأ ابن عامر بسكون الواو عـلى أنها أو العاطفة المقتضية للشك والباقون بفتحها على أنها همزة استفهام دخلت على واو العطف وهذا الخلاف جار أيضاً في الواقعة وقد تقدم مثل هذا في الأعراف في قوله : « أو أمن أهل القرى » فمن فتح الواو أجاز في أو آبائنا وجهـين أحدهما أن يكون معطوفاً على محـل ان واسمها والثاني أن يكون معطوفاً عـلى الضمير المستتر في لمبعوثون واستغنى بالفصل بهمزة الاستفهام ومن سكنها تعين فيه الأول دون الثاني على قول الجمهور لعدم الفاصل » • (قل : نعم وأنتم داخرون) فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت ونعم حرف جواب والواو للحال وأنتم مبتدأ وداخرون خبر والجملة نصب على الحال والعامل فيها نعم بالنظر لمعناها أي نعم تبعثون وأنتم داخرون •

(فإنما هي زجرة واحدة فإذا هم ينظرون) الفاء الفصيحة لأنها واقعة في جواب شرط مقدر تقديره إذا كان ذلك فإنما ، وإنما كافة ومكفوفة وهي مبتدأ وزجرة خبر وواحدة صفة وهي ضمير مبهم لأنه لا يرجع الى شيء وإنما يوضحه خبره ، وأجازوا أن تعود هي عـلى البعثة المدلول عليها بسياق الكلام لما كانت بعثتهم ناشئة عن الزجرة جعلت إياها مجازاً • والزجرة الصيحة المخيفة قال :

زجـر أبي عروة السباع إذا أشفقن أن يختلطن بالغنـم

يريد تصويته بها • والفاء عاطفة وإذا فجائية وهم مبتدأ وجملة ينظرون خبر ومفعوله محذوف أي ينظرون ما يفعل بهم أو هي بمعنى ينتظرون •

وَقَالُوا يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ (٢٠) هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ (٢١) ۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥) بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦)

الاعراب :

(وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين) الواو استئنافية وقالوا فعل وفاعل ويا حرف تنبيه أو المنادى محذوف وويلنا مصدر لا فعل له من لفظه أو منادى وجملة النداء مقول قولهم وجملة هذا يوم الدين يحتمل أن تكون من تتمة مقولهم ويحتمل أن يتم الوقف على ولينا والجملة مستأنفة فتكون من قول الملائكة لهم وهـذا مبتدأ ويوم الدين خبره • (هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون) هذا مبتدأ ويوم الفصل خبر ويحتمل أن تكون الجملة من تتمة مقولهم ويكون قوله تكذبون التفاتاً من التكلم الى الخطاب والذي صفة ليوم وكنتم كان واسمها وبه متعلقـان بتكذبون وجملة تكذبون خبر كنتـم • (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون) خطاب من الله تعالى للملائكة أو خطاب بعضهم لبعض • واحشروا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والذين مفعول به وجملة ظلموا صلة واسم الموصول عبارة عن المشركين ومفعول ظلموا محذوف تقديره أنفسهم وأزواجهم عطف عـلى الموصول أو مفعول معـه وما عطف أيضاً أو مفعول معه وكان واسمها وجملة يعبدون خبرها •

(من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم) من دون الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال والفاء عاطفة واهدوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به والى صراط الجحيم متعلقان باهدوهم • (وقفوهم إنهم مسؤولون) وقفوهم عطف على ما تقدم أي واحبسوهم عند الصراط وإن واسمها ومسؤولون خبرها والجملة تعليل للأمر • (مالكم لا تناصرون) الجملة مقول قول محذوف أي ويقال توبيخاً لهم • وما اسم استفهام مبتدأ ولكم خبر وجملة لا تناصرون حالية ولا نافية وتناصرون فعل مضارع حذفت إحدى تاءيه والأصل لا تتناصرون أي لا ينصر بعضكم بعضاً • (بل هم اليوم مستسلمون) بل حرف اضراب وعطف وهم مبتدأ واليوم ظرف متعلق بمستسلمون ومستسلمون خبر هم أي قد أسلم بعضهم بعضاً وخذله عن عجز •

الفوائد :

يجوز في المضارع المبدوء بتاءين زائدتين الادغام والفك ونورد هنا مناقشة بين علماء العربية نورد خلاصتها لفائدتها وطرافتها فقد ذكر ابن مالك في شرح الكافية وتبعه ابنه في شرح الخلاصة انك إذا أدغمت التاء الأولى في الثانية اجتلبت همزة الوصل ليتوصل بها الى النطق بالتاء المسكنة للادغام فتقول في تتجلى اتجلى ورد ابن هشام في أوضح المسالك وتبعه الشيخ خالد الأزهري عليهما بقولهما : « وفيه نظر فإنه لم يخلق الله أحداً من الفصحاء فيما نعلم أدخل همزة وصل في أول الفعل المضارع وإنما ادغام هذا النوع في الوصل دون الابتداء قال الحوفي : فإن وقف ابتدىء بالاظهار ، ولا يجوز إدخال ألف الوصل عليه لأن ألف الوصل لا تدخل على الفعل المضارع ،

وذكر الناظم ـ أي ابن مالك ـ في بعض كتبه هـذه المسألة عـلى الصواب فقال : يجوز ادغـام تاء المضارعة في تاء أخرى بعد مد أو حركة نحو ولا تيمموا وتكاد تميز » .

ورد عليهما بعض العلماء فقال : في هذا النقد نظر لأن ابن مالك وابنه من أجلّ علماء العربية وقد ذكرا أنه يجوز الادغام في الابتداء وتجتلب همزة الوصل لتعذر الابتداء بالساكن ولا يخلو حالهما من أمرين إما أن يكون استندا فيه الى فهم ذلك من لغة العرب أو استنباط ذلك منها لعـدم ما يناقضه وينافيه وعـلى كل لا يحسن الرد عليهما بمجرد عدم العلم بأن الله لم يخلق همزة وصل في أول الفعل المضارع لأنهما مثبتان والراد عليهما ناف والمثبت مقدم على النافي ومن حفظ حجة عـلى من لم يحفظ ولا تظن بهما أنهما أقدما عـلى ما ذهبا إليه بمجرد التشهي من غير استناد الى شيء يعتمدان عليه ويستندان إليه لأن سوء الظن بالأئمة غير لائق كيف وقد نقل الثقات أن ابن مالك قال : طالعت الصحاح فلـم أستفد منه إلا ثلاث مسائل ولا يضرهما عدم ذكرهما المستند في ذلك صريحاً وإن ذكراه تلويحاً ، قال ابن المصنف : ومنهم من يدغم ويسكن أوله ويدخل عليه همزة وصـل فيقول اتجلى لأنهما ثقتان مؤتمنان وقد ذكر صاحب القاموس في فصل الجيم من باب النون لما تكلم على جيان : « ومنها إماما العربية ابن مالك وأبو حيان » .

وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا

عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ (٣٠) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ (٣١) فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ (٣٢) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ (٣٤)

الاعراب :

(وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) الواو استئنافية وأقبل فعل ماض وبعضهم فاعل وعلى بعض متعلقان بأقبل وجملة يتساءلون حالية أي يتلاومون وينحي بعضهم باللائمة على بعض . (قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين) قالوا فعل وفاعل وان واسمها وجملة كنتم خبرها وكان واسمها وجملة تأتوننا خبرها وتأتوننا فعل مضارع وفاعل ومفعول به وعن اليمين حال من فاعل تأتونا واليمين إما أن يراد بها الجارحة تعبيراً بها عن القوة وأما الحلف لأن المتعاقدين بالحلف يؤكدون حلفهم بأن يتصافحوا باليمين ويتماسحوا بها . وهناك أقوال كثيرة ضربنا عنها صفحاً ويرجع إليها في المطولات وخلاصة المعنى إنكم غررتم بنا وأضللتمونا . (قالوا بل لم تكونوا مؤمنين) وهذا أحد أجوبة المتبوعين الخمسة وأولها وهو إضراب ابطالي لما ادعاه التابعون أي انكم لم تتصفوا بالإيمان في وقت من الأوقات . وقالوا فعل وفاعل وبل اضراب ابطالي ولم حرف نفي وقلب وجزم وتكونوا فعل مضارع مجزوم بلم والواو اسمها ومؤمنين خبرها .

(وما كان لنا عليكم من سلطان) وهذا هو الجواب الثاني وهو مبني على افتراض أنهم أضلوهم فهم لم يجبروهم عليه • وما نافية وكان فعل ماض ناقص ولنا خبرها المقدم وعليكم حال ومن حرف جر زائد وسلطان مجرور لفظاً اسم كان محلاً • (بل كنتم قوماً طاغين) بل اضراب ابطالي أيضاً وكنتم كان واسمها وقوماً خبرها وطاغين نعت لقوماً وهو الجواب الثالث • (فحق علينا قول ربنا إنا لـذائقون) وهذا هو الجواب الرابع والفاء حرف عطف وحق فعل ماض وعلينا جار ومجرور متعلقان بحق وقول ربنا فاعل وان واسمها واللام المزحلقة وذائقون خبرها والجملة الاسمية تعليل لما تقدم ومفعول ذائقون محذوف أي العذاب والفاعل مستتر تقديره نحن • (فأغويناكم إنا كنا غاوين) الفاء عاطفة وأغويناكم فعل وفاعل ومفعول به وهذا هو الجواب الخامس وان واسمها وجملة كنا خبرها وكان واسمها وغاوين خبرها • (فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون) الفاء الفصيحة أي إن شئت أن تعرف مصائر الأتباع والرؤساء المتبوعين ، وان واسمها ويومئذ ظرف متعلق بمحذوف حال وإذ ظرف أضيف إلى مثله والتنوين عوض عن جملة أي يوم إذ يتساءلون ويتلاومون ويتخاصمون ، وفي العذاب متعلقان بمشتركون ومشتركون خبر انهم • (إنا كذلك نفعل بالمجرمين) إن واسمها وكذلك نعت لمصدر محذوف مقدم على فعله وجملة نفعل خبر إنا وبالمجرمين متعلقان بنفعل •

إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ

تَعۡمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ﴿٤٥﴾ بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّـٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمۡ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ﴿٤٩﴾

اللغـــة :

(بكأس): يقال للزجاجة فيها الخمر كأس وتسمى الخمر نفسها كأساً ، قال الأعشى :

وكأس شربت عـلى لذة　　　وأخرى تداويت منهـا بها
لكي يعلم الناس أني امرؤ　　　أتيت المعيشة من بابهـا

والكأس تطلق عـلى الزجاجة فيها الخمر وعـلى الخمر مجازاً مشهور وهي مؤنثة بدليـل ضميرها وصفتها وتجمـع عـلى كئوس وأكئوس وكاسات وكئاس ، يقول الأعشى : ورب كأس شربتها مع لذة أو لأجل لذة فضرتني فشربت كأساً أخرى تداويت من الأولى بها ليعلم الناس أني مجرب للأمور ، وكنى عن ذلك بقوله : « أتيت المعيشة من بابها » وشبه المعيشة مع أسبابها المناسبة لها بدار لها باب عـلى

طريق الاستعارة المكنية واثبات الباب تخييل ومن هـذا المعنى أخذ أبو نواس قوله المشهور :

دع عنك لومي فإن اللـــوم إغـــراء

وداوني بالـــتي كانت هي الـــداء

ويروى عن الأخفش : « كـل كأس في القرآن فهي الخمـر » وقال أبو حيان : « الكأس ما كان من الزجاج فيه خمر أو نحوه من الأنبذة ولا يسمى كأساً إلا وفيه خمر وإلا فقدح وقد تسمى الخمر كأساً تسمية للشيء باسم محله » .

(معين) : قـال أبو حيان : « اسم فاعل من معن بضم العـين كشريف من شرف » أي من شراب معين أو نهر معين ظاهر للعيون أو خارج من العيون وهو صفة للماء من عان الماء إذا نبع وصف به خمر الجنة لأنها تجري كالماء وسنتبسط في هذه الكلمة لأنها تستعمل اليوم كثيراً لشكل هندسي فنقول : جاء في معاجم اللغة في مادة معن ما يلي : معن يمعن من باب فتح الماء ومعن يمعن من باب ظرف معناً ومعوناً : جرى جرياً سهلاً فهو معين ومعن الفرس : تباعد في عدوه ومعن المطر الأرض تتابع عليها فأرواها ومعن يمعن من باب شرب معْناً المكان أو النبت : روي من الماء والمعين الماء الجاري ويقال ماء معين أي جار وفي مادة عين « الماء المعين : الظاهر الذي تراه العين جارياً على وجه الأرض وعين معيونة لها مادة غزيرة من المـاء » أما الشكل الهندسي فالأرجح إنه المعين بضم الميم وتشديد الياء المكسورة فهو اسم فاعـل من عـين المضعفة الياء وهو في الهندسة شكـل مسطح متساوي الأضلاع الأربعة المستقيمة المحيطة به غير قائم الزوايا .

(غول) : ما يغتال العقول يقال غاله يغوله غولاً إذا أفسده ، ومنه الغول الـذي في تكاذيب العرب وفي أمثالهـم « الغضب غول الحلم » ، وغالته الخمر : شربها فذهبت بعقله أو بصحة بدنه والغول مصدر والصداع والسكر وبعد المفازة والمشقة وما انهبط من الأرض والتراب الكثير ٠

(ينزفون) : بالبناء للمجهول من نُزف الشارب إذا ذهب عقله ويقال للسـكران نزيف ومنزوف ويقال للمطعون نزف فمات إذا خرج دمه كله ونزحت الركية حتى نزفتها وفي أمثالهم « أجبن من المنزوف ضرطاً » ٠

وقصة هذا المثل : ان رجلين خرجا في فلاة فلاحت لهما شجرة فقال أحدهما : أرى قوماً قد رصدونا فقـال الآخر : إنما هي عُشرة فظنه يقول عَشرة فجعل يقول وما غناء اثنين عن عشرة ويضرط حتى مات ويروى من وجه آخر أن نسوة لم يكن لهن رجل فزوجت إحداهن رجلاً كان ينام الصبحة فإذا أتينه بصبوح ونبهنه قـال : لو نبهتنني لعاديه فلما رأين ذلك قلن إن صاحبنا لشجاع تعالين حتى نجربه فأتينه فأيقظنه فقال كعادته فقلن هذه نواصي الخيل فجعل يقول الخيل الخيل ويضرط حتى مات وفيه أقوال أخرى ضربنا عنها صفحاً ٠

وفي الصحـاح : « نزفت مـاء البئر إذا نزحته كله ونزفت هي يتعدى ولا يتعدى ونُزفت أيضاً على ما لم يسم فاعله » ٠

(قاصرات الطرف) : حابسات الأعين على أزواجهن لا ينظرن الى غـيرهم ويجوز أن يكون من باب الصفة المشبهـة أي قاصرات

أطرافهن كمنطلق اللسان وأن يكون من باب اسم الفاعل على أصله وسيأتي الفرق بينهما في الاعراب •

(عين) : نجل العيون جمع عيناء والنجل جمع نجلاء وهي التي اتسع شقها سعة غير مفرطة •

الاعراب :

(إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) إن واسمها وجملة كانوا خبرها وكان واسمها وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة قيل في محل جر بالإضافة ولهم متعلقان بقيل ونائب الفاعل مستتر تقديره هو وجملة لا إله إلا الله مقول قول محذوف أي قولوا لا إله إلا الله وقد تقدم إعراب كلمة التوحيد مفصلاً وجملة يستكبرون خبر كانوا وجواب إذا محذوف دل عليه ما قبله • (ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون) ويقولون عطف على يستكبرون والهمزة للاستفهام الانكاري وان واسمها واللام المزحلقة وتاركو خبر إن ولشاعر متعلقان بتاركو أي لأجل شاعر ومجنون صفة• (بل جاء بالحق وصدق المرسلين) اضراب ابطالي وجاء فعل وفاعل مستتر وبالحق متعلقان بجاء وصدق المرسلين عطف على جاء بالحق • (إنكم لذائقو العذاب الأليم) إن واسمها وسيأتي سر هذا الالتفات في باب البلاغة واللام المزحلقة وذائقو العذاب خبر ان والأليم صفة •

(وما تجزون إلا ما كنتم تعملون) الواو عاطفة وما نافية وتجزون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وإلا أداة

حصر وما مفعول به ثان وهو على حذف مضاف أي جزاء ما وجملة كنتم تعملون صلة ما وجملة تعملون خبر كنتم •

(إلا عبـاد الله المخلصـين) إلا أداة استثناء بمعنى لكن لأن الاستثناء منقطع وعباد الله مستثنى من الواو في تجزون والمخلصين صفة لعباد الله • (أولئك لهـم رزق معلوم) كـلام مستأنف لتقرير ما أعد لعباد الله المخلصين وأولئك مبتدأ ولهم خبر مقدم ورزق مبتدأ مؤخر ومعلوم صفة لرزق ونائب الفاعل مستتر تقديره وقته أو معلوم ما يتميز به من خصائص منها الديمومة ومحض اللذة وطيب الطعم ، وحسن الرداء والمنظر وجملة لهم رزق معلوم خبر أولئك • (فواكه وهم مكرمون) فواكـه بدل أو عطف بيان للرزق بدل كل من كل وسيأتي المزيد من مزايا هذا البدل في باب البلاغة والواو عاطفة أو حالية وهـم مبتـدأ ومكرمون خبر • (في جنات النعيم) متعلقان بمكرمون أو هو خبر ثان أو هما متعلقان بمحذوف في محل نصب على الحال • (على سرر متقابلين) على سرر متعلقان بمتقابلين ومتقابلين حال أو كلاهما حال وفي الكلام تصوير لمجالس الشراب سيأتي المزيد منه في باب البلاغة •

(يطاف عليهم بكأس من معين) الجملة صفة لمكرمون أو حال من الضمـير في متقابلين أو جملة مستأنفـة وعليهم متعلقان بيطاف وبكأس ناب مناب المفعول المطلق وقد تقدم بحث ذلك مفصلاً ومن معين لصفة لكأس • قال الضحاك كل كأس في القرآن فهي الخمر • (بيضاء لذة للشاربين) وبيضاء صفة ثانية لكأس ولـذة صفة ثالثة لكأس وصفت بالمصدر مبالغة أو على حذف المضاف أي ذات لذة أو

هي تأنيث اللذ يقال لـذ الشيء فهو لـذ ولذيذ كقولك رجل طب أي طبيب ، قال :

لـذٌ كطعم الصرخدي تركته بأرض العدا من خشية الحدثان

فاللذ وصف واللذة مؤنثة وهي اسم للكيفية القائمة بالنفس واسم للشيء اللذيذ والصرخـد موضع بالشام ينسب إليه الشراب والحدثان مصدر كالحدث إلا أنه يدل على التجدد والتكرر يقول : ورب شيء لذيذ يعني النوم طعمه كطعم الشراب تركته بأرض الأعداء خوف نزول المكاره بي . (لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون) الجملة صفة رابعة لكأس ولا نافية وفيها خبر مقدم وغول مبتدأ مؤخر ولا عطف وهم مبتدأ وعنها متعلقان بينزفون وجملة ينزفون خبر هم وهو مبني للمجهول . (وعنـدهم قاصرات الطرف عـين) الواو عاطفة والظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وقاصرات الطرف مبتدأ مؤخر والطرف مضاف إليه مرفوع المحل على أن قاصرات صفة مشبهة أو منصوب المحل على أن قاصرات اسم فاعل وعين صفة لقاصرات الطرف

(كأنهن بيض مكنون) صفة ثانية لقاصرات وإذا اعتبرت قاصرات صفة كانت صفـة ثالثة وكأن واسمهـا وبيض خبرها ومكنون صفة وسيأتي بحث هذا التشبيه في باب البلاغة .

البلاغـة :

١ ـ الالتفات :

في قوله « إنكم لذائقو العذاب الأليم » فقد التفت من الغيبة الى الخطاب لمجابهتهم بالغضب وانه بلغ أقصى آماده وحدوده .

٢ ـ الايجاز :

وفي قوله : « فواكه » وإبداله من رزق إيجاز قصر دل على أنهم قد بلغوا غاية ما يتمناه المتمني ويغتبط به المغتبط ، فالفواكه مساوية للرزق فهي تشبه الخبز واللحم لأن أكلهم لا لإقامة الصحة وحفظها وإنما هو للتلذذ والتفكه فأجسامهم هناك محكمة لا يعتورها وهن ولا يتطرق اليها ضعف أو فتور .

وهناك إيجاز آخر بقوله معلوم فقد نابت هذه الكلمة عن الأوقات والمدد واندرجت فيها العشايا والأصائل والبكر ، كما نابت عن الطعوم المتفاوتة والروائح المتباينة التي تختلف في المظهر وتتفق في طيبها وتفاوح أرجها المسكر .

٣ ـ التجسيد :

والصورة الفنية الرائعة تبدو في قوله « على سرر متقابلين » وليس أشهى للشاربين في أويقات الصبوح أو الغبوق وفي البكر والأماسي من أن يتقابلوا فالتقابل أتم للسرور وأدعى الى الحبور وسيأتي أيضاً تبادلهم للأحاديث والمتع .

٤ ـ الإيجاز أيضاً :

وفي وصف الخمر إيجاز بليغ وهو قوله « لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون » فقد جمعت هاتان الكلمتان جميع عيوب خمر أهل الناس التي حرمت بسببها من مغص أو صداع أو خمار أو عربدة أو نغو أو تأثيم أو غير ذلك .

٥ ــ التشبيه المرسل :

وفي قوله « كأنهن بيض مكنون » تشبيه مرسل والمراد بالبيض هنا بيض النعام ، والمكنون من كننته أي جعلته في كن والعرب تشبه المرأة به في لونه وهو بياض مشرب بعض صفرة وهو الذي تطلق عليه اليوم اللون الكافوري . وأول من شبه المرأة بالبيضة امرؤ القيس بقولــــه :

وبيضة خـــدر لا يرام خباؤها تمتعت من لهو بها غير معجل

والنساء يشبهن بالبيض من ثلاثة أوجه أحدها بالصحة والسلامة عن الطمث ومنه قول الفرزدق :

خرجن إلي لــم يطمثن قبلي وهن أصـــح من بيض النعـــام

والثاني في الصيانة والستر لأن الطائر يصون بيضه ويحصنه ، والثالث في صفاء اللون ونقائه لأن البيض يكون صافي اللون نقيه إذا كان تحت الطائر . هذا وهو من التشبيهات التي رغب المحدثون عنها اليوم وإن كانت بديعـــة في ذاتهـــا لأن البيئة لم تعد تستسيغ تلك التشبيهات .

التشبيه بين البيئات المختلفة :

ولإيضاخ الفرق بين البيئات نقـــول كان العرب يستحسنون تشبيه الأصابع والبنان بدودة تكون في الرمل وتسمى جماعتها بنات النقا فمن ذلك قول امرىء القيس :

وتعطو برخص غير شثن كأنه أساريع ظبي أو مساويك إسحل

فقد شبه البنانة بالأسروعة أي دودة الرمل . وقال ذو الرمة :

خزاعيب أمثال كأن بنانها بنات النقا تخفي مراراً وتظهر

فهي كأحسن البنان ليناً وبياضاً وطولاً واستواء ودقة وحمرة رأس كأنه ظفر قد تخضب . إلا أن النفس ما لبثت أن اجتوت هذا التشبيه فعدل أبو نواس عنه بقوله :

تعاطيكها كف كأن بنانها

إذا اعترضتها العين صف مداري

وابن الرومي أيضاً بقوله :

سقى الله قصراً بالرصافة شاقني

بأعلاه قصري الدلالي رصافي

أشار بقضبان هي الدر قمعت

يواقيت حمراً فاستباح عفافي

أو قول عبد الله بن المعتز :

أشرن على خوف بأغصان فضة

مقومة أثمارهن عقيق

وهكذا يختلف التشبيه باختلاف البيئات . وسيأتي المزيد من هذا البحث الهام وحسبنا الآن ما قدمناه .

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾

الاعراب :

(فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) الفاء عاطفة والجملة معطوفة على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة الشرب ، قال :

وما بقيت من اللذات إلا أحاديث الكرام على المدام

فيقبل بعضهم على بعض والبيت للفرزدق يقول ما بقيت لذة من اللذات إلا لذة أحاديث الكرام أو ما بقيت شهوة من الشهوات اللذيذة إلا أحاديث الكرام على الخمر وأتى بحرف الاستعلاء لأن الشراب يكون بين أيديهم والحديث من أفواههم فوقه • وأقبل بعضهم فعل

وفاعل وعلى بعض جار ومجرور متعلقان بأقبل وجملة يتساءلون حالية والتعبير بصيغة الماضي للتأكيد والدلالة على تحقق الوقوع وتلك عادة الله في أخباره . (قال قائل منهم إني كان لي قرين) قال قائل فعل وفاعل ومنهم صفة لقائل أي من أهل الجنة وإن واسمها وجملة كان خبرها وجملة إن واسمها وخبرها مقول القول ولي خبر كان مقدم وقرين اسمها مؤخر أي كان لي في الدار العاجلة صاحب . (يقول أئنك لمن المصدقين) جملة يقول صفة لقرين والهمزة للاستفهام الانكاري وإن واسمها واللام المزحلقة ومن المصدقين خبر إن والجملة مقول القول .

(أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون) الهمزة للاستفهام الإنكاري وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة متنا في محل جر بإضافة الظرف إليها وكنا فعل ماض ناقص ونا اسمها وتراباً خبرها وعظاماً عطف على تراباً والهمزة للاستفهام وإن واسمها واللام المزحلقة ومدينون خبر إن أي مجزيون ومحاسبون . (قال هل أنتم مطّلعون) قال فعل ماض ناقص والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على ذلك القائل من أهل الجنة أي قال لإخوانه وهل حرف استفهام وأنتم مبتدأ ومطلعون خبره والاستفهام معناه الأمر أي تعالوا تتطلع من كوى الجنان لنطّلع على حال أهل النار . (فاطّلع فرآه في سواء الجحيم) الفاء عاطفة واطلع فعل ماض وفاعله ضمير مستتر تقديره هو يعود على ذلك القائل ، فرآه فعل ماض وفاعل مستتر ومفعول به أي رأى قرينه وفي سواء الجحيم متعلقان برآه أي في وسطها ولك أن تعلق الجار والمجرور بمحذوف حال ولعله أولى أي مرتطماً في وسط جهنم . (قال تالله إن كدت لتردين) قال فعل ماض وفاعل مستتر وتالله التاء حرف قسم وجر وهو مع مجروره متعلقان بفعل محذوف تقديره أقسم

وإن مخففة من الثقيلة ولك أن تعملها فيكون اسمها محذوفاً أي انك وجملة كدت خبرها ويجوز أن تهملها فتكون جملة كدت جواب القسم لا محل لها وقد سبق أن قلنا أن إن إذا خففت فالأكثر أن تدخل على كاد كما تدخل على كان ونحوه واللام هي الفارقة بينها وبين النافية ، وتردين فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت والنون للوقاية والياء مفعول به وحذفت الياء تبعاً لسنة المصحف .

(ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين) الواو عاطفة ولولا حرف امتناع لوجود ونعمة مبتدأ وربي مضاف إليه وخبر المبتدأ محذوف وجوباً والتقدير موجودة واللام واقعة في جواب لولا وكان واسمها ومن المحضرين خبرها أي من الذين أحضروا العذاب كما أحضرته أنت وأمثالك . (أفما نحن بميتين) الهمزة للاستفهام والفاء عاطفة على محذوف تقديره أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين وما نافية حجازية ونحن اسمها والباء حرف جر زائد وميتين مجرور بالباء لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما . (إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين) إلا أداة حصر والاستثناء مفرغ وموتتنا مفعول مطلق وقيل هو استثناء منقطع فينصب على الاستثناء والأولى صفة أي الموتة التي في الدنيا والواو حرف عطف وما نافية حجازية ونحن اسمها وبمعذبين الباء حرف جر زائد ومعذبين مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما . (إن هذا لهو الفوز العظيم) إن واسمها واللام المزحلقة وهو مبتدأ أو ضمير فصل والفوز خبر هو والجملة خبر إن ، أو خبر إن والعظيم صفة للفوز .

(لمثل هذا فليعمل العاملون) يحتمل أن يكون من كلامه ترغيباً للمكلفين في عمل الطاعات ويحتمل أن يكون من كلام بعضهم لبعض

وقيل يبعد الاحتمال الثاني قوله فليعمل العاملون فإن العمل والترغيب فيه إنما يكون في الدنيا • وعلى كل حال فالجار والمجرور متعلقان بيعمل وهذا مضاف إليه والفاء الفصيحة أي إن تبين حقيقة حال أهل الجنة فليعمل ، واللام لام الأمر ويعمل فعل مضارع مجزوم بلام الأمر والعاملون فاعل •

أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾

اللغــة :

(نزلا) : النزل بضمتين أو بضم النون وسكون الزاي : المنزل وما هيء للضيف والجمع أنزال والنزل أيضاً بضمتين : الطعام ذو

البركة والمنزل والقوم النازلون وريع ما يزرع ونماؤه والعطاء والفضل وقد استعير للحاصل من الشيء وحاصل الرزق المعلوم اللذة والسرور وحاصل شجرة الزقوم الألم .

(الزقوم) : قال في القاموس : « الزقم اللقم والتزقم التلقم وأزقمه فازدقمه : أبلعه فابتلعه والزقوم كتنور : الزبد بالتمر وشجرة بجهنم ونبات بالبادية له زهر ياسميني الشكل وطعام أهل النار » وقال في الأساس : « تقول : من أنكر أن يقوم أطعمه الله الزقوم ، ويقال : إن أهل إفريقية يسمون الزبد بالتمر : زقوماً وهو من قولهم : انه ليزقم اللقم ، ويتزقمها ويزدقمها : يبتلعها وبات يتزقم اللبن إذا أفرط في شربه » . وفي الخازن : والزقوم ثمر شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم يُكره أهل النار على تناولها فهم يتزقمونه على أشد كراهية وقيل هي شجرة تكون بأرض تهامة من أخبث الشجر . وسيأتي المزيد من الحديث عن شجرة الزقوم في باب البلاغة .

(طلعها) : الطلع حقيقة اسم لثمر النخيل في أول بروزه ، فإطلاقه على ثمر هذه الشجرة مجاز بالاستعارة كما سيأتي في باب البلاغة ، والطلع من النخل شيء يخرج كأنه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود وما يبدو من ثمرته في أول ظهورها .

(شوباً) : بفتح الشين وهو مصدر على أصله وقيل يراد به اسم المفعول ويدل له قراءة بعضهم لشوباً بالضم ، قال الزجاج : المفتوح مصدر والمضموم اسم بمعنى المشوب كالنقض بمعنى المنقوض والفعل منه شابه يشوبه من باب قال إذا خلطه فهو الخلط .

(حميم) : ماء حار وهو المقصود هنا ويطلق على الماء البارد فهو من الأضداد .

الاعراب :

(أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم) الجملة مقول قول محذوف يعود إلى ذكر الرزق المعلوم أي قل لهم يا محمد على سبيل الانكار والتوبيخ والتهكم أذلك خير نزلاً ، فالهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي وذلك مبتدأ وخير خبر ونزلاً تمييز لخير وأم حرف عطف وشجرة الزقوم عطف على ذلك وقال الزمخشري : « وانتصاب نزلاً على التمييز ، ولك أن تجعله حالاً كما تقول : أثمر النخلة خير بلحاً أم رطباً » • (إنا جعلناها فتنة للظالمين) إن واسمها وجملة جعلنا خبر وجعلناها فعل وفاعل ومفعول به أول وفتنة للظالمين مفعول به ثان وللظالمين صفة لفتنة أي ابتلاء وتعذيباً ومحنة لهم لأنهم قالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبته • (إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم) إن واسمها وشجرة خبرها وجملة تخرج صفة لشجرة وفي أصل الجحيم متعلقان بتخرج • (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) طلعها مبتدأ وجملة التشبيه خبر وكأن واسمها ورؤوس الشياطين خبر كأن • (فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون) الفاء عطف وان واسمها واللام المزحلقة وآكلون خبر إن ومنها متعلقان بآكلون فمالئون الفاء عاطفة للترتيب مع التعقيب ومالئون معطوف على آكلون ومنها متعلقان بمالئون والبطون مفعول مالئون لشدة جوعهم •

(ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وإن حرف مشبه بالفعل ولهم خبرها المقدم وعليها متعلقان بمحذوف حال واللام المزحلقة وشوباً اسمها المؤخر ومن حميم صفة لشوباً • (ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وان واسمها واللام المزحلقة والى الجحيم خبرها • (انهم

ألفوا آباءهم ضالين) الجملة تعليل لما سبق من ابتلائهم بأفانين العذاب، وان واسمها وجملة ألفوا خبرها وآباءهم مفعول ألفوا الأول وضالين مفعول ألفوا الثاني • (فهم على آثارهم يهرعون) الفاء تعليلية وهم مبتدأ وعلى آثارهم متعلقان بيهرعون وجملة يهرعون خبر هم والاهراع السير الشديد بحث وانزعاج • وفي المصباح هرع وأهرع بالبناء للمفعول فيهما إذا أعجل • (ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين) اللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وضل فعل ماض مبني على الفتح وقبلهم ظرف متعلق بمحذوف حال وأكثر الأولين فاعل • (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) الواو عاطفة واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وأرسلنا فعل وفاعل وفيهم جار ومجرور متعلقان بأرسلنا ومنذرين مفعول به •(فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) الفاء الفصيحة وانظر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وكيف اسم استفهام في محل نصب خبر كان المقدم وعاقبة اسمها المؤخر والمنذرين بفتح الذال مفعول به • (إلا عباد الله المخلصين) إلا أداة استثناء بمعنى لكن لأن الاستثناء منقطع وعباد الله مستثنى والمخلصين صفة •

البلاغة :

حفلت هذه الآيات بضروب من البلاغة سنبسط القول فيها وسننقل لك خلاصات وافية لما أورده أساطين البلاغة في صددها فأول ما فيها من فنون :

١ ــ التشبيه برؤوس الشياطين :

وهو تشبيه طلع شجرة الزقوم برؤوس الشياطين وهو تشبيه

خيالي وقد سبق ذكره فيما قدمناه من أقسام التشبيه ، ونورد لك هنا خلاصة ما قاله ابن رشيق فيه :

« واعلم أن التشبيه على ضربين : تشبيه حسن وتشبيه قبيح فالتشبيه الحسن هو الذي يخرج الأغمض الى الأوضح فيفيد بيانا والتشبيه القبيح ما كان خلاف ذلك » قال الرماني : « وشرح ذلك ما تقع عليه الحاسة أوضح مما لا تقع عليه الحاسة ، والمشاهد أوضح من الغائب فالأول في العقل أوضح من الثاني، والثالث أوضح من الرابع وما يدركه الانسان من نفسه أوضح مما يعرفه من غيره ، والقريب أوضح من البعيد في الجملة ، وما قد ألف أوضح مما لم يؤلف » ثم انتقل ابن رشيق الى التشبيه الوارد في الآية فقال : « قال الله عز وجل : « طلعها كأنه رؤوس الشياطين » فقال قوم إن شجرة الزقوم وهي أيضاً الأستن لها صورة منكرة وثمرة قبيحة يقال لها رؤوس الشياطين » والأستن كما يقول المجد : « الأستن والأستان بفتح الهمزة وسكون السين فيهما ، أصول الشجر يغشو في منابته فإذا نظر إليه الناظر شبهه بشخوص الناس » الى أن يقول : « والأجود الأعرف انه شبه بما لا يشك انه منكر وقبيح لما جعل الله عز وجل في قلوب الإنس من بشاعة صور الجن » .

فصل رائع للجاحظ :

وكم كنا نتمنى أن يكون كتاب « نظم القرآن » موجود بين أيدينا لنطلع على الفصل الرائع الذي كتبه الجاحظ بصدد هذا التشبيه ولكن الكتاب فقد مع ما فقد من آثارنا العربية فلا بد لنا من أن ننقل شذرات منه وردت في كتبه الأخرى ، فقد جاء في كتاب الحيوان ما نصه : « وليس ان الناس رأوا شيطانا قط على صورة ولكن لما كان

الله تعالى قد جعل في طباع جميع الأمم استقباح جميع صور الشياطين واستسماجه وكراهيته وقد أجرى على ألسنة جميعهم ضرب المثل في ذلك رجع بالإيحاش والتنفير وبالإخافة والتقريع إلى ما قد جعله الله في طباع الأولين والآخرين وعند جميع الأمم على خلاف طبائع جميع الأمم وهذا التأويل أشبه من قول من زعم من المفسرين أن رؤوس الشياطين نبات ينبت باليمن » •

وتعرض الجاحظ لهذا التشبيه مرة أخرى فقال : « فزعم ناس أن رؤوس الشياطين ثمر شجرة تكون ببلاد اليمن لها منظر كريه والمتكلمون لا يعرفون هذا التفسير وقالوا : ما عنى إلا رؤوس الشياطين المعروفين بهذا الاسم من فسقة الجن ومردتهم فقال أهل الطعن والخلاف : لس يجوز أن يضرب المثل بشيء لم نره فنتوهمه ولا وصفت لنا صورته في كتاب ناطق أو خبر صادق ، ومخرج الكلام يدل على أن التخويف بتلك الصورة والتفزيع منها ، وعلى أنه لو كان شيء أبلغ في الزجر من ذلك لذكره فكيف يكون الشأن كذلك والناس لا يفزعون إلا من شيء هائل شنيع قد عاينوه أو صوّره لهم واصف صدوق اللسان بليغ في الوصف ونحن لم نعاينها ولا صوّرها لنا صادق ، وعلى أن أكثر الناس من هذه الأمم التي لم تعايش أهل الكتابين وحملة القرآن من المسلمين، ولم تسمع الاختلاف لا يتوهمون ذلك ، ولا يقفون عليه ، ولا يفزعون منه فكيف يكون ذلك وعيداً عاماً ؟ قلنا : وإن كنا نحن لم نر شيطاناً قط ولا صور رؤوسها لنا صادق بيده ففي إجماعهم على ضرب المثل بقبح الشيطان حتى صاروا يضعون ذلك في مكانين أحدهما أن يقولوا : لهو أقبح من الشيطان ، والوجه الآخر أن يسمى الجميل شيطاناً على جهة التطيّر له كما تسمى

الفرس الكريمة شوهاء ، والمرأة الجميلة صمّاء وقرناء وخنساء وجرباء وأشباه ذلك على جهة التطيّر له ، ففي إجماع المسلمين والعرب وكل من لقيناه على ضرب المثل بقبح الشيطان دليل على أنه في الحقيقة أقبح من كل قبيح » ٠

لقد فصل الجاحظ في المقال وجوه التشبيه وتصرف الأسلوب القرآني في المشبه به ووجه الشبه ينتزعه من غير مدرك بالحس اعتماداً على ثبوته في الإدراك عن طريق العادة والعرف وتناقل الناس له ، وقد أجاز الجاحظ مثل هذا التشبيه وبين وجهته وناقش آراء غيره في التشبيه في ضرورة الاعتماد على الحس البصري لتصوير المعنى في الذهن ، ومنذ ذلك العهد أو قبله بقليل اهتم الناس بهذين النوعين من التشبيه وتابعوهما في القرآن وفي البيان عامة ودارت بحوث البلاغة حول هذه النقطة وتفرعت من هذين النوعين أنواع أخرى ، وهكذا كان لهذه الآية ومثلها أثر في تنبيه الناس إلى التشبيه ، فبحثه فيها أبو عبيدة وجدّد الجاحظ البحث وتوسّع فيه وظلت الآية على رأس الشواهد في التشبيه المعنوي في كتب النقد والبلاغة بعدهما ٠

ورفض الجاحظ تفسير اللغويين الحسي ، وهو يتفق ووجهة نظر أهل الظاهر في التفسير ويعارض وجهة أهل النظر من المتكلمين والمعتزلة أيضاً وقد فسر أولئك رؤوس الشياطين برؤوس نبات ينبت باليمن أو شجر كريه المنظر أو حيات قبيحة الشكل وكلها مدلولات مادية لكلمة شيطان قد يكون لها أصل من الواقع وقد تكون من ابتكار هؤلاء ، وهي على الحالين لا تبلغ في أثرها في النفس مبلغ صورة الشيطان التي تثب الى الخيال وتجمع كل سمات الفزع والقبح وإن تكن غير واضحة وضوح النبات والشجر والحيات وهذا الغموض يضفي عليها مزيداً من التخويف ٠

لهذا كان تفسير الجاحظ أكثر إدراكاً لمرمى التعبير القرآني في النفوس وهو إدراك له قيمته من الوجهة النقدية ذلك هو أثر الأدب في النفس وهي لفتات جاءت عابرة في كتب الأقدمين وأولاها النقد الحديث عنايته ، وهو يذكر أمثلة من التشبيه بالحيوان في القرآن وذلك لغلبة صفة مافي كل نوع منها أراد السياق ابرازها فيضرب الله مثلاً بالعنكبوت في وهن البيت وضعفه والحمار في الجهل والغفلة وفي قلة المعرفة وغلظ الطبيعة والقرد في القبح والتشويه ونذالة النفس.

ولعل هذه الآية أو قل هذا التشبيه هو الذي حدا بأبي عبيدة الى تأليف كتابه « مجاز القرآن » الذي لم نطلع عليه ولكن ذكره ابن النديم صاحب « الفهرس » والخطيب صاحب « تاريخ بغداد » وابن الأنباري في « نزهة الألباء » وياقوت في « إرشاد الأريب » وابن خلكان في « الوفيات » والسيوطي في « بغية الوعاة » ويذكر ياقوت أن أبا عبيدة ألف كتاب « المجاز » عام ثمانية وثمانين ومائة من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم يذكر على لسان أبي عبيدة : « أرسل إليّ الفضل بن الربيع في الخروج إليه سنة ثمان وثمانين ومائة فقدمت الى بغداد واستأذنت عليه فأذن لي وهو في مجلس له طويل عريض فيه بساط واحد قد ملأه وفي صدره فرش عالية لا يرتقى اليها إلا على كرسي ثم دخل علي رجل في زي الكتاب له هيئة فأجلسه الى جانبي وقال له: أتعرف هذا قال : لا ، قال هذا أبو عبيدة علامة أهل البصرة ، أقدمناه لنستفيد من علمه فدعا له الرجل وقرّظه لفعله هذا وقال: إني كنت مشتاقاً إليك وقد سألت عن مسألة أفتأذن لي أن أعرفك إياها ؟ فقلت: هات ، قال : قال الله عز وجل : « طلعها كأنه رؤوس الشياطين » وانما يقع الوعد والإيعاد بما عرف مثله وهذا مما لم يعرف ، فقلت : إنما

كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم أما سمعت قول امرىء القيس :

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به . فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل وعزمت في ذلك اليوم أن أضع كتاباً في القرآن في مثل هذا وأشباهه وما يحتاج إليه من علمه فلما رجعت الى البصرة عملت كتابي الذي سميته « المجاز » .

وعبارة السمين بهذا الصدد : « قوله : كأنه رؤوس الشياطين ، فيه وجهان أحدهما أنه حقيقة وأن رأس الشياطين شجر بعينه بناحية تسمى الاستن وهو شجر مرّ منكر الصورة سمته العرب بذلك تشبيهاً برؤوس الشياطين في القبح ثم صار أصلاً يشبه به وقيل الشياطين : صنف من الحيات ، وقيل : هو شجر يقال له الصرم فعلى هذا قد خوطب العرب بما تعرفه وهذه الشجرة موجودة فالكلام حقيقي والثاني أنه من باب التمثيل والتخيل وذلك أن كل ما يستنكر ويستقبح في الطباع والصورة يشبه بما يتخيله الوهم وإن لم يره ، والشياطين وإن كانوا موجودين لكنهم غير مرئيين للعرب إلا أنه خاطبهم بما ألفوه من الاستعارات » .

أما الزمخشري فقد جمع بين الأقوال كلها ولكنه قدم ما هو أولى فقال بأسلوبه الممتع : « والطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجر الزقوم من حملها إما استعارة لفظية أو معنوية وشبه برؤوس الشياطين دلالة على تناهيه في الكراهة وقبح المنظر لأن الشيطان مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم أنه شر محض لا يخلطه خير فيقولون في

القبيح الصورة كأنه وجـه شيطان ، كأنه رأس شيطان وإذا صوره المصورون جاءوا بصورته على أقبح ما يقدروا هوله كما أنهم اعتقدوا في الملك انه خير محض لا شرّ فيه فشبهوا به الصورة الحسنة قال الله تعالى : « ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم » وهذا تشبيه تخييلي، وقيل الشيطان حية عرفاء لها صورة قبيحة المنظر هائلة جداً ، وقيل إن شجراً يقـال له الأستن خشناً مراً منتناً منكر الصورة يسمى ثمره رؤوس الشياطين وما سمت العرب هذا الثمر برؤوس الشياطين إلا قصداً الى أحد التشبيهين ولكنه بعد التسمية بذلك رجع أصلاً ثالثاً يشبه به .

٢ ــ سر العطف بـ « ثم » :

وفي قوله « ثم ان لهم عليها لشوباً من حميم» سر لطيف المأخذ، دقيق المسلك ، قلّ من يتفطن إليه ، فإن في معنى التراخي وجهين :

أحدهما : انهم يملئون البطون من شجر الزقوم وهو حارّ يحرق بطونهم ويزيد في عطشهم وغلتهم فلا يسقون إلا بعد ملي تعذيباً بذلك العطش ثم يسقون ما هـو أحر من العطش وهو الشـراب المشوب بالحميم ، والوجه الثاني أنه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو أوغل في الكراهة وأبعـد في البشاعة فجاء بثم للدلالة على تراخي حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته لصفته في الزيادة عليـه ومعنى الثاني انه يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم وهي الدركات التي اسكنوها الى شجرة الزقوم فيأكلون إلى أن يملئوا بطونهم ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ، ومعنى التراخي في ذلك واضح المفهوم .

وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾

الاعراب :

(ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون) كلام مستأنف مسوق للشروع في تفصيل ما أجمل فيما سبق. واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق ونادانا نوح فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر ، والفاء عاطفة واللام جواب قسم محذوف وجواب كل من القسمين محذوف ، لدلالة السياق عليه والتقدير والله لقد نادانا نوح لما يئس من إيمان قومه بعد أن استنزف ألف سنة إلا خمسين عاماً بين أظهرهم فلم يزدادوا إلا عتواً واستكباراً وتهوراً فأجبناه أحسن إجابة فوالله لنعم المجيبون نحن . ونعم فعل ماض جامد لإنشاء المدح والمجيبون فاعل نعم والمخصوص بالمدح محذوف تقديره نحن وهذه هي الأولى من قصص ست ستأتي تباعاً .

(ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) الواو عاطفة ونجيناه فعل وفاعل ومفعول به وأهله عطف على الهاء أو مفعول معه ومن الكرب جار ومجرور متعلقان بنجيناه العظيم نعت للكرب . (وجعلنا ذريته هم الباقين) وجعلنا عطف على نجيناه وذريته مفعول به وهم ضمير

فصـــل لا محـــل له والباقين مفعول جعلنا الثاني . (وتركنا عليه في الآخرين) الواو عاطفة وتركنا فعل وفاعل وعليه صفة للمفعول المحذوف أي ثناء كائناً عليه وفي الآخرين في موضع نصب مفعول به ثان لتركنا وقيل في إعراب هذه الآية غير ذلك . (سلام على نوح في العالمـــين) سلام مبتدأ وسوغ الابتداء به ما فيه من معنى الدعـــاء وعـــلى نوح خبر متعلق بمحذوف صفة لسلام أو متعلق بما تعلق به الأول وجملة سلام على نوح في العالمين مفسرة لتركنا . وقال السمين : « قوله سلام على نوح مبتدأ وخبر وفيه أوجه : أحدها أنه مفسر لتركنا أي تركنا عليه شيئاً وهو هذا الكلام وقيل ثم قول مقدر أي فقلنا سلام وقيل ضمن تركنا معنى قلنا وقيل سلط تركنا على ما بعده ، قال الزمخشري: وتركنا عليه في الآخرين هذه الكلمة وهي سلام على نوح في العالمين يعني يسلمون عليـــه تسليماً ويدعون له وهو من الكـــلام المحكي كقولك سورة أنزلناها وهذا الذي قاله قول الكوفيين جعلوا الجملة في محل نصب مفعولاً بتركنا لا انه ضمن معنى القول بل هو عـــلى معناه بخلاف الوجه قبله وهو أيضاً من أقوالهم » .

(إنا كذلك نجزي المحسنين) إن واسمها وكذلك نعت لمصدر محذوف وجملة نجزي خبر إنا وفاعـــل نجزي مستتر تقـــديره نحن والمحسنين مفعول به لنجزي والجملة تعليل لمجازاة نوح بتلك التكرمة السامية وهي خلود ذكره وتسليم العالمين عليه أبد الدهر . (إنه من عبادنا المؤمنين) تعليل للإحسان بالإيمان تنويهاً بشأن الإيمان وتشريفاً له وحثاً على الازدياد منه . وان واسمها ومن عبادنا خبرها والمؤمنين نعت لعبادنا . (ثم أغرقنا الآخرين) عطف على نجيناه وأهله فالترتيب حقيقي لأن نجاتهم حصلت قبل غرق الباقين ولكن بينهما تراخياً .

* وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾
إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفۡكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ
تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظۡرَةً فِي
ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ
ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ
ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴿٩٥﴾
وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ
﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ
رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ
حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ
أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ
ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن
يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾
إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ

فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾

اللغــــة :

(شيعته) : في المختار : « الشيعة أتباع الرجــل وأنصاره » وفي المصباح : « الشيعة : الأتباع والأنصار وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة ثم صارت الشيعة اسماً لجماعة مخصوصة والجمع شيع سدرة وسدر والأشياع جمع الجمع » وفي الأساس : « شيّعته يوم رحيله وشايعتك عــلى كذا : تابعتك عليه وتشايعوا عــلى الأمر وهم شيعته وشيعه وأشياعه وهذا الغلام شَيْع أخيه : وُلد بعده ، وآتيك غداً أو شَيْعَهُ قال :

قال الخليط : غــداً تصدّعنا أوشيعــه أفــــلا تشيّعنــا

وأقمت عنده شهراً أوشيع شهر وكان معه مائة رجــل أوشيع ذلك ونزلوا موضع كذا أوشَيْعَه ، وشاع الحديث والسر وأشاعه صاحبه ورجل مشياع مذياع وقطرت قطرة من اللبن في الماء فتشيع فيه : تفرق ، وأشاعت الناقة بولها وأشاعت به وجاءت الخيل شوائع: متفرقة ، وتشايعت الإبل وله صهم في الدار شائع ومُشاع وشيّع بالإبل وشايع بها : صاح بها ومنه قيل لمنفاخ الراعي : الشياع وشايع

بهم الدليل فأبصروا الهدى : نادى بهم . ومن المجاز شيعنا شهر رمضان بصوم الستة وشيّعت النار بالحطب وأعطني شياعاً كما تقول : شِباباً لما تشيّع به وتشبّ ، وشيّع هذا بهذا : قوه به ، قال الراعي :

إليك يقطــــع أجواز الفـــلاة بنا
نصٌ تشيعـــه الصُّهْب المراسيـــل

ورجل مُشيّع القلب : للشجاع ، وقد شُيّع قلبه بما يركب كلّ هول وشاع في رأسه الشيب وشاعكم الله تعالى بالسلام وشاعكم السلام قال :

ألا يا نخـــلةً في ذات عـــرقٍ
برُود الظـــل شاعكـــم السلام »

لمحة عن الشيعة :

وقول صاحب المصباح : « اسم لجماعـة مخصوصة » يقصد الشيعة أقدم الفرق الإسلامية وقد ظهروا بمذهبهم السياسي في آخر عصر عثمان ونما وترعرع في عهد علي وقوام هذا المذهب أن الإمامة ليست من مصالح العامة التي تفوض الى نظر الأمة ويتعين القائم بها بتعيينهم بل هي ركن الدين وقاعـدة الاسلام ولا يجوز لنبي إغفالها وتفويضها الى الأمة بل يجب عليه تعيين الإمام لهم ويجب أن يكون معصوماً عن الكبائر والصغائر وان علي بن أبي طالب كان هو الخليفة المختار من النبي وانه أفضل الصحابة . ولها فرق كثيرة يرجع اليها في الملل والنحل للشهرستاني والفصل في الملل والنحل لابن حزم .

(فراغ) : مال في خفية وأصله من روغان الثعلب وهو تردده وعدم ثبوته ، وفي المختار : « راغ الثعلب من باب قال وروغاناً بفتحتين والاسم منه الرواغ بالفتح وأراغ وارتاغ أي طلب وأراد ، وراغ الى كذا مال إليه سراً وحاد ، وقوله تعالى : « فراغ عليهم ضرباً باليمين أي أقبل وقال الفراء : مال عليهم . وفلان يراوغ في الأمر مراوغة » .

(يزفون) : يسرعون في المشي من زفيف النعام ويزفون من أزفّ إذا دخل في الزفيف أو من أزفّه إذا حمله على الزفيف أي يزف بعضهم بعضاً ، وفي الأساس : « زف العروس إلى زوجها وهذه ليلة الزّفاف ، وزف الظليم وزفزف وزفت الريح وزفزفت زفيفاً وزفزفة وهي سرعة الهبوب والطيران مع صوت ، وريح زفزف ، وزفزفته الريح حرّكته وبات مُزَفْزَفاً ، وأنشدني سلامة بن عياش الينبعي بمكة يوم الصّدَر :

فبتّ مزفزَفاً قد أنشبتني رسيسة ورد بينهم أحاحا
لعلمي أن صرف البين يضحي ينيل العين قرّتها لِماحا

ومن المجاز : زفوا إليه : أسرعوا ويقال للطائش الحلم : قد زفّ رأله ، وجئته زفة أو زفتين مرة أو مرتين وهي المرة من الزفيف كما أن المرة من المرور » .

(وتله للجبين) : صرعه على شقه فوقع أحد جنبيه على الأرض تواضعاً على مباشرة الأمر بصبر وجلد وفي المصباح : « والجبين ناحية الجبهة من محاذاة النزعة الى الصدغ وهما جبينان عن يمين الجبهة

وشمالها قاله الأزهري وابن فارس وغيرهما فتكون الجبهة بين جبينين وجمعه جبن بضمتين مثل بريد وبرد وأجبنة مثل أسلحة » وفي القاموس : « تله تلاً من باب اقتل فهو متلول وتليل صرعه أو ألقاه على عنقه وخده » .

(الجحيم) : النار الشديدة الوقود وقيل كل نار على نار وجمر فوق جمر فهي جحيم ، وفي القاموس: « الجحيم النار الشديدة التأجج وكل نار بعضها فوق بعض كالجَحمة وتضم ، وكل نار عظيمة في مهواة والمكان الشديد الحر كالجاحم ، وجحمها كمنعها أوقدها فجحمت ككرمت جحوماً وكفرح جحماً وجحيماً وجحوماً اضطرب والجاحم الجمر الشديد الاشتعال » .

الاعراب :

(وإن من شيعته لإبراهيم) الواو عاطفة عطفت القصة الثانية على القصة الأولى ولك أن تجعلها استئنافية فتكون الجملة مستأنفة مسوقة للشروع في قصة إبراهيم بعد قصة نوح . وان حرف مشبه بالفعل ومن شيعته خبرها المقدم واللام المزحلقة وإبراهيم اسمها المؤخر . (إذ جاء ربه بقلب سليم) لك أن تعلق الظرف بفعل محذوف تقديره اذكر ولك أن تعلقه بما في الشيعة من معنى الاشتقاق فهو معمول له لما فيه من معنى المتابعة ، وجملة جاء في محل جر بإضافة الظرف إليها والفاعل مستتر تقديره هو يعود على إبراهيم وربه مفعول به وبقلب متعلقان بجاء وسليم صفة . (إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون) الظرف الثاني بدل من الظرف الأول وأجاز أبو البقاء أن يكون ظرفاً

تسليم أو لجاء وجملة قال في محل جر بالإضافة والفاعل ضمير مستتر تقديره هو ولأبيه متعلقان بقال وماذا تقدم اعرابها كثيراً فما مبتدأ وذا اسم موصول خبر أو هي بكاملها اسم استفهام في محل نصب مفعول مقدم لتعبدون وجملة تعبدون لا محل لها على الأول وجملة ماذا مقول القول على الثاني .

(أئفكاً آلهة دون الله تريدون) الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي وإفكاً في نصبه أوجه أحدها أنه مفعول من أجله أي أتريدون آلهة دون الله إفكاً فآلهة مفعول به ودون الله ظرف متعلق بتريدون وقدمت معمولات الفعل اهتماماً به لأنه مكافح لهم بأنهم على إفك وباطل وبهذا الوجه بدأ الزمخشري والجلال والثاني أنه مفعول به بتريدون ويكون آلهة بدلاً منه جعلها نفس الإفك مبالغة فأبدلها منه وفسره بها والثالث انه حال من فاعل تريدون أي أتريدون آلهة آفكين أو ذوي إفك . (فما ظنكم برب العالمين) الفاء عاطفة وما اسم استفهام للانكار والتوبيخ أي ليس لكم سبب ولا عذر يحملكم على الظن وهو في محل رفع مبتدأ وظنكم خبره وبرب العالمين متعلقان بظنكم وفي البيضاوي : « والمعنى إنكار ما يوجب ظناً فضلاً عن قطع يصد عن عبادته أو يجوز الاشراك به أو يقتضي الأمن من عقابه على طريقة الإلزام وهي كالحجة على ما قبله » .

(فنظر نظرة في النجوم) الفاء عاطفة ونظر فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو ونظرة مفعول مطلق وفي النجوم متعلق بنظر ، قيل الكلام على حذف مضاف أي في علم النجوم ولم يقل الى النجوم مع أن النظر إنما يتعدى بإلى لأن « في » تأتي بمعنى « إلى » لقوله تعالى « فردوا أيديهم في أفواههم » أي إليها وقيل إن نظر ضمن معنى فكر

وهو يتعدى بفي • (فقال إني سقيم) الفاء عاطفة وقال فعل ماض وفاعل مستتر وإني إن واسمها وسقيم خبرها وإن وما في حيزها في محل نصب مقول القول وسيأتي الكلام في تجويز الكذب على إبراهيم •

(فتولوا عنه مدبرين) الفاء عاطفة وتولوا فعل ماض وفاعل وعنه متعلقان بتولوا ومدبرين حال من الواو في تولوا • (فراغ الى آلهتهم فقال ألا تأكلون) الفاء عاطفة وراغ فعل ماض وفاعل والى آلهتهم متعلقان براغ فقال عطف على راغ والهمزة للاستفهام ولا نافية وتأكلون فعل مضارع مرفوع وفاعل وجملة الاستفهام مقول القول • (مالكم لا تنطقون) ما اسم استفهام مبتدأ ولكم خبر وجملة لا تنطقون في محل نصب على الحال وجملة مالكم مقول قول محذوف والتقدير فلم ينطقوا فقال مالكم لا تنطقون • (فراغ عليهم ضرباً باليمين) الفاء عاطفة على محذوف تقديره فلم يجيبوا فراغ وعليهم جار ومجرور متعلقان براغ وضرباً مصدر واقع موقع الحال أي فراغ عليهم ضارباً أو مصدر لفعل مقدر أي يضرب ضرباً والجملة في محل نصب على الحال وباليمين متعلقان بضرباً أو بعامله •

(فأقبلوا إليه يزفون) الفاء عاطفة وأقبلوا فعل ماض والواو فاعل وإليه متعلقان بأقبلوا وجملة يزفون في محل نصب على الحال من فاعل أقبلوا ويجوز تعلق إليه به • (قال أتعبدون ما تنحتون) قال فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو والهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي وتعبدون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل وما مفعول به وجملة تنحتون صلة والعائد محذوف ، ويجوز أن تكون ما مصدرية أي نحتكم ، ويجوز أن تكون نكرة موصوفة أي منحوتكم ، وقيل استفهامية للتوبيخ أي وأي شيء تعملون • (والله خلقكم وما تعملون)

الواو حالية والله مبتدأ وجملة خلقكم خبر والكاف مفعول به والواو عاطفة وما يجوز أن تكون موصولة أو مصدرية وقيل هي استفهامية للتوبيخ أي وأي شيء تعملون وقيل هي نافية أي أن العمل في الحقيقة ليس لكم فأنتم لا تعملون شيئاً ، وسيأتي مزيد بحث في هذا التركيب الذي شجر فيه الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة ، وجملة والله خلقكم حال ومعناها أتعبدون الأصنام على حالة تنافي ذلك وهي أن الله خالقكم وخالقهم جميعاً ويجوز أن تكون الواو استئنافية والجملة مستأنفة • (قالوا ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم) قالوا فعل وفاعل وابنوا فعل أمر والواو فاعل والجملة مقول القول وله متعلقان بابنوا وبنياناً مفعول به ، فألقوه عطف على ابنوا وهو فعل أمر والواو فاعل والهاء مفعول به وفي الجحيم متعلقان بألقوه •

(فأرادوا به كيداً فجعلناهم الأسفلين) الفاء عاطفة وأرادوا فعل ماض وفاعل وبه متعلقان بأرادوا وكيداً مفعول به ، فجعلناهم عطف على فأرادوا وهو فعل وفاعل ومفعول به أول والأسفلين مفعول به ثان لجعلناهم • (وقال إني ذاهب الى ربي سيهدين) الواو عاطفة على محذوف تقديره فخرج من النار سالماً وقال ، وان واسمها وذاهب خبرها والى ربي متعلقان بذاهب والسين حرف استقبال ويهدين فعل مضارع مرفوع بضمة مقدرة على الياء والنون للوقاية وياء الضمير المحذوفة لرعاية الفواصل مفعول به أي سيهديني وسيأتي معنى ذهابه الى ربه في باب الفوائد • (رب هب لي من الصالحين) رب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وقد تقدمه له نظائر وهب فعل دعاء وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت ولي متعلقان بهب ومن الصالحين صفة لمفعول به محذوف أي ولداً من الصالحين • (فبشرناه بغلام

حليم) الفاء عاطفة على محذوف تقديره فاستجبنا له ، وبشرناه فعل ماض وفاعـل ومفعول به وبغـلام متعلقان ببشرناه وحليم صفة وفي الكلام إيجاز سيأتي في باب البلاغة .

(فلما بلغ معه السعي) الفاء استئنافية ولما حينية أو رابطة وبلغ فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو والظرف متعلق بمحـذوف حال وعبارة الزمخشري : « فإن قلت بم يتعلق معه ؟ قلت : لا يخلو إما أن يتعلق ببلغ أو بالسعي أو بمحـذوف فلا يصـح تعلقه ببلغ لاقتضائه بلوغهما معاً حد السعي ولا بالسعي لأن صلة المصدر لا تتقدم عليه فبقي أن يكون بياناً كأنه لما قال فلما بلغ السعي أي الحد الذي يقدر فيه على السعي قيل مع من فقال مع أبيه والمعنى في اختصاص الأب انه أرفق الناس به وأعطفهـم عليه وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله لأنه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده » . (قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى) جملة قال لا محل لها لأنها جواب لما ويا حرف نداء وبني منادى مضاف لياء المتكلـم وان واسمها وجملة أرى خبرها وفي المنام متعلقان بأرى وإن واسمها وجملة أذبحك خبرها وأن وما بعـدها سدت مسد مفعولي رأى الحلمية ، فانظر الفاء الفصيحة وانظر فعل أمر وفاعله مستتر وجوباً تقديره أنت وماذا ترى يجوز أن تكون ماذا مركبة استفهامية فتكون منصوبة بترى وما بعدها في محل نصب بانظر لأنهـا معلقة له ويجوز أن تكون ما استفهامية وذا موصولة فتكون ماذا مبتدأ وخبراً والجملة معلقة أيضاً وأن تكون ماذا بمعنى الذي فتكون معمولاً لانظر وترى فعل مضارع من الرأي لامن رؤية العين ولا المتعدية الى مفعولين بل كقولك هو يرى رأي الخوارج .

(قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين) يا حرف نداء وأبت منادى مضاف الى ياء المتكلم المعوض عنها بالتاء وقد تقدم القول فيها وافياً مراراً والتاء في محل جر لأن المعوض عنه كذلك وافعل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وما اسم موصول مفعول افعل وجملة تؤمر صلة والعائد محذوف تقديره ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف في قولك أمرتك الخير فافعل ما أمرت به ويجوز أن تكون ما مصدرية أي أمرك على إضافة المصدر للمفعول والسين حرف استقبال وتجدني فعل مضارع مرفوع والنون للوقاية والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت والياء مفعول به ومن الصابرين في موضع المفعول الثاني • (فلما أسلما وتلّه للجبين) الفاء عاطفة ولما حينية أو رابطة وأسلما فعل ماض والألف فاعل أي استسلما وخضعا وانقادا لأمر الله ، وتله الواو عاطفة وتله فعل ماض وفاعل مستتر تقديره هو أي إبراهيم والهاء مفعول به وللجبين متعلقان بمحذوف حال وجواب لما محذوف تقديره ظهر صبرهما أو أجزلنا لهما أجرهما أو كان ما كان مما تنطق به الحال• وقال الكوفيون والأخفش الجواب وتله للجبين بزيادة الواو وقيل وناديناه بزيادة الواو أيضاً والأول أرجح • (وناديناه أن يا إبراهيم) الواو عاطفة وناديناه فعل وفاعل ومفعول به وأن مفسرة لأن النداء فيه معنى القول دون حروفه ويا حرف نداء وإبراهيم منادى مفرد علم مبني على الضم •

(قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين) قد حرف تحقيق وصدقت فعل وفاعل والرؤيا مفعول به وإن واسمها وكذلك نعت لمصدر محذوف مقدم على عامله وجملة نجزي المحسنين خبر إن وجملة

إنا تعليل لما منّ عليهما من الفرج بعد الشدة والرجاء بعد اليأس • (إن هذا لهو البلاء المبين) إن واسمها واللام المزحلقة وهو مبتدأ أو ضمير فصل والبلاء خبر هو أو خبر إن والمبين نعت للبلاء • (وفديناه بذبح عظيم) الواو عاطفة وفديناه فعل وفاعل ومفعول به والجملة معطوفة على ناديناه وبذبح جار ومجرور متعلقان بفديناه والذبح اسم ما يذبح كبشاً كان أم وعلاً وعظيم صفة لذبح •

(وتركنا عليه في الآخرين) تقدم إعراب نظير هذه الآية ومفعول تركنا محذوف وفي الآخرين صفة لهذا المحذوف أي ثناء حسناً • (سلام على إبراهيم) سلام مبتدأ وعلى إبراهيم خبر وساغ الابتداء بالنكرة لما فيها من معنى الدعاء وجملة سلام على إبراهيم مقول قول محذوف أي يقال له هذا في الآخرين •

(كذلك نجزي المحسنين) كذلك نعت لمصدر محذوف ونجزي المحسنين فعل مضارع وفاعل ومفعول به • (إنه من عبادنا المؤمنين) إن واسمها ومن عبادنا خبر والمؤمنين صفة والجملة تعليلية لا محل لها • (وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين) الواو حرف عطف وبشرناه فعل وفاعل ومفعول به وبإسحق متعلقان ببشرناه ونبياً حال من إسحق ومن الصالحين صفة لنبياً أو حال ثانية ، وورودها على سبيل الثناء والتقريظ لأن كل نبي لا بد أن يكون صالحاً • (وباركنا عليه وعلى إسحق) وباركنا عطف على ما تقدم وعليه متعلقان بباركنا وعلى إسحق عطف على عليه (ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) من ذريتهما خبر مقدم ومحسن مبتدأ مؤخر وظالم عطف على محسن ولنفسه متعلقان بظالم ومبين صفة لظالم •

البلاغـة :

انطوت هذه الآية على فنون شتى نورد أهمها فيما يلي :

١ ـ في قوله « فقال إني سقيم » فن الرمز والإيماء وهو أن يريد المتكلم اخفـاء أمر ما في كلامـه فيرمز في ضمنه رمزاً إما تعمية للمخاطب وتبرئة لنفسه وتنصلاً من التبعة وإما ليهتدي بواسطته الى طريق استخراج ما أخفاه في كلامه وقـد كان قوم إبراهيم نجّامين فأوهمهم أنه استدل بأمارة في علم التنجيم على انه يسقم فقـال : إني سقيم أي مشارف للسقم وهو الطاعون وكان أغلب الأسقام عليهـم وكانوا يخافون العدوى فقـال ذلك ليوجسوا خوفاً ويتفرقوا عنه فهربوا منه الى عيدهم وتركوه في بيت الأصنام ليس معه أحد ففعـل بالأصنام ما فعل ، وقد يوهم ظاهر الكلام أنه ارتكب بذلك جريرة الكذب والأنبياء معصومون عنه والصحيح أن الكذب حرام إلا إذا عرض عنه وورّى ، ولقد نوى ابراهيم أن من في عنقه الموت سقيم ومنه المثل : « كفى بالسلامة داء » وقال لبيد :

كانت قناتي لا تلـين لغامز فألا منهـا الاصباح والامساء

فدعوت ربي بالسلامة جاهداً ليصحني فإذا السلامـة داء

يصف لبيد قوته زمن الشباب ثم ضعف حـال المشيب بتتابع الأزمان عليه وانه طلب فسحة الأجل فكانت سبب اضمحلاله . والقناة الرمـح استعارها لإقامته أو قوته عـلى طريق الاستعارة التصريحية والليونة ، والغمز ترشيح للاستعارة والغمز الجس باليد ، ومات رجل فالتف عليه الناس وقالوا مات وهو صحيح فقال أعرابي أصحيح من

الموت في عنقه وقيل أراد بقوله إني سقيم النفس لكفركم ، على أن بعض الناس قد جوزه في المكيدة في الحرب والتقية وارضاء الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين وسيأتي المزيد من هذه القصة الفريدة في باب الفوائد .

٢ ــ الإيجاز :

في قوله « فبشرناه بغلام حليم » إيجاز قصر وقد تقدم تعريفه ، فقد اطوت هذه البشارة الموجزة على ثلاث : أن الولد ذكر ، وأنه يبلغ أوان الحلم ، وانه يكون حليماً ، وأي حلم أدل على ذلك من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فلم يضطرب ولم يتخاذل ولم يعترض على مشيئة أبيه بل قال : « ستجدني إن شاء الله من الصابرين » ثم استسلم لذلك ولم يكن ليدور له في خلد أن الله سيفديه وسيهيىء له كبش الفداء .

الفوائد :

١ ــ من هو الذبيح ؟

اختلف المفسرون في المأمور بذبحه فعن ابن عباس وابن عمر وجماعة من التابعين انه اسماعيل وحجتهم فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أنا ابن الذبيحين » وقال له أعرابي يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال : إن عبد المطلب لمّا حفر بئر زمزم نذر لله لئن سهل الله له أمرها ليذبحنّ أحد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا له : أفدينالك بمائة من الإبل ففداه بمائة من الإبل

والثاني إسماعيل ، واحتجوا أيضاً بأن الله وصفه بالصبر دون إسحق في قوله تعالى : « وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كلٌّ من الصابرين » وهو صبره على الذبح ، وعن علي بن أبي طالب وابن مسعود والعباس وعطاء وعكرمة وغيرهم أنه إسحق وعليه أهل الكتابين اليهود والنصارى ، والحجة فيه أن الله تعالى أخبر خليله ابراهيم حين هاجر الى الشام بأنه استوهبه ولداً ثم أتبع ذلك البشارة بغلام حليم ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف الذي جاء فيه : « من يعقوب اسرائيل الله بن إسحق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله » وقال الزجاج : « الله أعلم أيهما الذبيحين » وهذا مذهب ثالث وهو الوقف عن الجزم بأحد القولين وتفويض علم ذلك إلى الله تعالى ولعل هذا أولى فإن هذه المسألة ليست من العقائد التي كلفنا بمعرفتها فهي مما ينفع علمه ولا يضر جهله والله أعلم . هذا وللمفسرين والمؤرخين كلام طويل في قصة الذبح يرجع إليها في المطولات .

٢ ـ مناقشة بين أهل السنة والمعتزلة :

وهناك مناقشة يجدر بنا تلخيصها بين أهل السنة والمعتزلة لطرافتها ولعلاقتها الوثيقة بالإعراب ، فقد تساءل الزمخشري حول قوله تعالى : « والله خلقكم وما تعملون » فقال : « كيف يكون الشيء الواحد لله تعالى معمولاً لهم ، وأجاب بأن هذا كما يقال عمل النجار الباب فالمراد عمل شكله لا جوهره وكذلك الأصنام جواهرها مخلوقة لله تعالى وأشكالها وصورها معمولة لهم فإن قلت : ما منعك أن تكون ما مصدرية لا موصولة ويكون المعنى والله خلقكم وعملكم كما يقول المجبرة » وأجاب : بأن « أقرب ما يبطل به هذا السؤال بعد

بطلانه بالحجج العقلية أن معنى الآية يأباه فإن الله تعالى احتج عليهم بأنه خلق العابد والمعبود فكيف يعبد المخلوقُ المخلوقَ على أن العابد فيهما هو الذي عمل صورة المعبود » قال : ولو قلت والله خلقكم وعملكم لم يكن للكلام طباق وشيء آخر وهو أن قوله وما تعملون شرحه في قوله أتعبدون ما تنحتون ولا يقال في أن ما هذه موصولة فالتفرقة بينهما تعسف وتعصب » قال : « فإن قلت اجعلها موصولة ومعناها وما تعملونه من أعمالكم وحينئذ توافق الأولى في أنها موصولة فلا يلزمني التفرقة بينهما » وأجاب « بل الإلزمان في عنقك لا يفكهما إلا الإذعان للحق وذلك أنك وان جعلتها موصولة فهي واقعة عندك على المصدر الذي هو جوهر الضم وفي ذلك فكٌّ للنظم وتبتير كما لو جعلتها مصدرية » .

وتعقبه ابن المنير فقال : « يتعين حملها على المصدرية وذلك انهم لم يعبدوا هذه الأصنام من حيث كونها حجارة ليست مصورة فلو كان كذلك لم يتعاونوا في تصويرها ولا اختصوا بعبادتهم حجراً دون حجر فدل أنهم إنما يعبدونها باعتبار أشكالها وصورها التي هي أثر عملهم ففي الحقيقة انهم عبدوا عملهم وصلحت الحجة عليهم بأنهم مثله مع أن المعبود كسب العابد وعمله فقد ظهر أن الحجة قائمة عليهم على تقدير أن تكون ما مصدرية أوضح قيام وأبلغه فإذا ثبت ذلك فليتتبع كلامه بالإبطال أما قوله : إنها موصولة وان المراد بعملهم لها عمل أشكالها فمخالف للظاهر فإنه مفتقر الى حذف مضاف في موضع اليأس يكون تقديره : والله خلقكم وما تعملون شكله وصورته بخلاف توجيه أهل السنة فإنه غير مفتقر الى حذف البتة ثم إذا جعل المعبود نفس الجوهر فكيف يطابق توبيخهم ببيان أن المعبود من عمل العابد مع موافقته على

أن جواهر الأصنام ليست من عملهم فما هو من عملهم وهو الشكل ليس معبوداً لهم على هذا التأويل وما هو معبودهم وهو جوهر الصنم ليس من عملهم فلم يستقر له قرار في أن المعبود على تأويله من عمل العابد وعلى ما قررناه يتضح ، واما قوله ان المطابقة تنفك على تأويل أهل السنة بين ما ينحتون وما يعملون فغير صحيح فإن لنا أن نحمل الأولى على المصدرية وانهم في الحقيقة انما عبدوا نحتهم لأن هذه الأصنام وهي حجارة قبل النحت لم يكونوا يعبدونها فلما عملوا فيها النحت عبدوها ففي الحقيقة ما عبدوا سوى نحتهم الذي هو عملهم فالمطابقة إذن حاصلة والإلزام على هذا أبلغ وأمتن ولو كان كما قال لقامت لهم الحجة ولقالوا كما يقول الزمخشري مكافحين لقوله والله خلقكم وما تعملون : لا ولا كرامة ولا يخلق الله ما نعمل نحن لأنا علمنا التشكيل والتصوير وهذا لم يخلقه الله ، وكانوا يجدون الذريعة الى اقتحام الحجة » .

٣ ـ معنى الذهاب الى ربه :

اختلف في معنى قوله « إني ذاهب الى ربي سيهدين » والأكثرون على أن هذه الآية أصل في الهجرة والعزلة أي إني مهاجر من بلد قومي ومولدي الى حيث أتمكن من عبادة ربي فإنه سيهديني سواء السبيل وفي سين الاستقبال إيذان بأن الفعل واقع لا محالة .

وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا

ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

الاعراب :

(ولقد مننا على موسى وهارون) كلام مستأنف مسوق للشروع في القصة الثالثة ولك أن تجعل الواو عاطفة على ما سبق ، واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق ومننا فعل وفاعل وعلى موسى وهارون متعلقان بمننا أي أنعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من المزايا الدينية والدنيوية . (ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم) الواو عاطفة ونجيناهما عطف على مننا وهو فعل وفاعل ومفعول به والميم والألف حرفان دالان على التثنية وقومهما مفعول معه أو معطوف على الضمير في نجيناهما ومن الكرب متعلقان بنجيناهما والعظيم صفة للكرب والمراد به استعباد فرعون إياهم وسومه إياهم سوء العذاب . (ونصرناهم فكانوا هم الغالبين) عطف على ما تقدم وجمع الضمير لأنه عائد على موسى وهارون وقومهما ، فكانوا الفاء عاطفة وكان واسمها وهم ضمير فصل لا محل له والغالبين خبر كانوا ، وأجاز بعضهم أن يكون هم تأكيداً للواو أو بدلاً منها . (وآتيناهما الكتاب المستبين) عطف على ما تقدم أيضاً والكتاب مفعول به ثان والمستبين نعت للكتاب والمراد به التوراة وما اشتملت عليه من تشريعات وأحكام. (وهديناهما الصراط المستقيم) عطف على ما تقدم والصراط مفعول به ثان أو منصوب بنزع الخافض كما تقدم والمستقيم نعت للصراط .

(وتركنا عليهمـا في الآخرين) تقـدم إعرابها أكثر من مرة • (سلام على موسى وهارون) سلام مبتدأ وعلى موسى وهارون خبره (إنا كذلك نجزي المحسنين) ان واسمها وكذلك نعت لمصدر محذوف وجملة نجزي المحسنين خبر إنا وقـد تقدمت لها نظائر • (إنهما من عبادنا المؤمنين) إن واسمها ومن عبادنا خبر والمؤمنين نعت •

الفوائـد :

حقيقة القول في موسى :

الصحيح أن موسى علم أعجمي غير مشتق وقول بعضهم انه مشتق من أوسيت الشجر أي أخذت ما عليه من الورق ضعيف ورد ابن السراج هذا كله وقال : من اشتق شيئاً من لغـة العجم من لغـة العرب كان بمنزلة من ادعى أن الطير ولد الحوت ، ومع كون موسى أعجمياً اختلف في وزنه فقال سيبويه وزنه مفعل وهو قول أبي عمرو ، وقال الكسائي : وزنه فعلى واحتج لسيبويه بأن زيادة الميم أولاً أكثر من زيادة الألف آخراً ورد الفارسي على الكسائي بصرفه في النكرة ولو كانت فعلى لكانت ألفه للتأنيث ولا يصرف نكرة أيضاً ومن جوز فعلل في الأبنية كما صار إليه الأخفش يجوز عنده كون ألفه للإلحاق فيصرف في النكرة وتقول في جمعه بالواو والنون موسون وموسين بفتح السين عند البصريين والكوفيين إن كان وزنه مفعلاً وتقول على طريقة الكسائي موسون بضم السين قبل الواو وموسين بكسر السين قبل الياء ، هذا كله في موسى اسم لواحد من بني آدم وأما الموسى التي يحلق بها الشعر فعربية ثم قيل إنهـا مشتقـة من أسوت الشيء إذا أصلحته ، والأصل مؤسى بالهمزة فأبدلت الهمزة واواً وقيل من أوسيت حلقت وهذا أشهر ولا أصل

لواوه على هذا في الهمزة والمشهور تأنيثها وقيل هو مذكر ووزنها على الباعث فعلى فيمتنع الصرف سواء سميت بها أو لم تسم إلا إذا اثبت فعلاً فيصرف في النكرة والله أعلم .

وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (١٢٦) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٧) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٢٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٢٩) سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ (١٣٠) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٣١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١٣٢)

اللغـــة :

(بعلاً) : بعل اسم صنم لهم من ذهب وبه سمي البلـد أيضاً مضافاً الى بك اسم البلد في الأصل ثم لما عبد فيها هذا الصنم المسمى ببعل سميت بعلبك وفي تاج العروس : « قال الأزهري : هما اسمان جعلا اسماً واحداً لمدينة بالشام والنسبة اليها بعلي أو بكي على ما ذكر في عبد شمس » وعبارة الزمخشري : « أتدعون بعلاً وهو علم لصنم كان لهم كمناة وهبل وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعاً وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياءه فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم أهل بعلبك من بلاد الشام

وبه سميت مدينتهم بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال : من بعل هذه الدار أي من ربهـا ؟ » وسيأتي المزيد من هـذه القصة في باب الفوائد .

(تدعون) : تنادون .

(تذرون) : تتركون وسمعنا عمن له نصاب في العربية أن كلمتي ذر ودع أمران في معنى الترك إلا أن دع أمر للمخاطب بترك الشيء قبل العلم به وذر أمر له بتركه بعد ما علمـه ، وروي أن بعض الأئمة سأل الإمام الرازي عن قوله تعالى : « أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين » لمَ لم يقـل وتدعون أحسن الخالقين وهـذا أقرب من الفصاحة للمجانسة بينهما فقال الإمام لأنهم اتخذوا الأصنام آلهـة وتركوا الله بعد ما علموا أن الله ربهم ورب آبائهم الأولين استكباراً فلذلك قيل لهم : وتذرون ولم يقل وتدعون ، هذا وقد أمات العرب ماضي دع وذر ومصدرهما ولكن روي في الحديث : « لتنتهين أقوام من ودعهم الجمعات » أي عن تركهم الجمعات . وقال في القاموس : ودعه أي اتركه أصله ودع كوضع وقد أميت ماضيه وإنما يقـال في ماضيه تركه وجـاء في الشعر ودعـه وهو مودوع وقرىء شاذاً : « ما ودعك ربك وهي قراءته صلى الله عليه وسلم » وقال الجوهري : ولا يقـال وادع وينافيه وروده في الشعر والقراءة به إلا أن يحمـل قولهم وقد أميت ماضيه على قلة الاستعمال فهو شاذ استعمالاً صحيح قياساً .

(الياسين) : قـال الزمخشري : « قرىء على الياسين وادريسين وادارسين وادريسين على أنها لغات في الياس وادريس ولعل لزيادة الياء

والنون في السريانية معنى » وقيل المراد بياسين هذا الياس المتقدم فعلى هذا هو مفرد مجرور بالفتحة لأنه غير منصرف للعلمية والعجمة وقيل هو ومن آمن معه فجمعوا معه تغليباً كقولهم للمهلب المهلبون فعلى هذا هو مجرور بالياء لأنه جمع مذكر سالم •

الاعراب :

(وإن الياس لمن المرسلين) عطف أو استئناف لـــذكر القصة الرابعــة ، وان واسمها والياس علم أعجمي وستأتي ترجمتــه في باب الفوائد واللام المزحلقة والمرسلين خبر • (إذ قال لقومه ألا تتقون) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بفعل محذوف تقديره اذكر ، واختار بعضهم تعليقه بالمرسلين وجملة قال في محل جر بإضافة الظرف إليها ولقومــه جار ومجرور متعلقان بقال والهمزة للاستفهــام ولا نافية وتتقون فعل مضارع مرفوع وفاعل والجملة مقول القول • (أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين) الهمزة للاستفهام الانكاري وتدعون فعــل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل وبعــلا مفعول به والواو عاطفــة وتذرون عطف عــلى تدعون ويجوز أن تكون حالية والجملة في محل نصب على الحال وأحسن الخالقين مفعول به •

(الله ربكم ورب آبائكم الأولين) لفظ الجلالة بدل من أحسن الخالقين فهو منصوب وربكم بدل من الله ورب آبائكم الأولين عطف فالكلمات الثلاث منصوبة وقرىء بالرفع على أنها أخبار لمبتدأ محذوف أي هو أو الله مبتدأ وربكم خبره ورب آبائكم الأولين عطف على ربكم • (فكذبوه فإنهم لمحضرون) الفاء عاطفة وكذبوه فعل وفاعل ومفعول

به والفاء في فإنهم الفصيحة وان واسمها واللام المزحلقة ومحضرون خبر إن • (إلا عباد الله المخلصين) إلا أداة استثناء وعباد الله استثناء متصل من فاعل فكذبوه والمخلصين نعت لعباد الله • (وتركنا عليه في الآخرين) تقدم إعرابها قريباً فجدد به عهداً • (سلام على إلياسين) تقدم إعرابها • (إنا كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين) تقدم اعرابها أيضاً •

الفوائد :

في قصة الياس النبي طرافة ومتعة وتصوير فني ليكون وسيلة للتأثير الوجداني فهي تخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية لأن القصة في القرآن ليست عملاً فنياً مستقلاً في موضوعه وطريقة أدائه وعرضه وسرد حوادثه ، وقبل أن نبدأ بتلخيص القصة كما روتها السير نبدأ بذكر لمحة عن الياس النبي فقد ذكر أهل التفسير أنه نبي من أنبياء بني اسرائيل قال محمد بن اسحق : « هو الياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران والله أعلم » وجاء في المنجد للآداب والعلوم انه إيليا النبي من أنبياء بني اسرائيل حارب العبادات الوثنية التي أدخلتها في إسرائيل ايزابيل زوجة آحاب فنفي الى صرفت حيث رد الى الحياة ابن امرأة أرملة وبإذن الله أهطل المطر على الأرض بعد انقطاعه عنها ثلاث سنوات قرب جبل الكرمل وخذل كهنة بعل وعشروت وأمر بقتلهم فلحقته ايزابل بوابل غضبها فهرب الى صحراء سيناء ثم عاد فتنبأ لآحاب بانتقام الله عليه لأنه اغتال نابوت وأخذ كرمه رفع الى السماء على مركبة نارية خلفه بالنبوة تلميذه اليشع •

وفيما يلي ما ذكره محمد بن اسحق وعلماء السير والأخبار ملخصاً :

لما قبض الله حزقيل النبي عظمت الأحداث في بني إسرائيل وظهر فيهم الفساد ونصبوا الأصنام فبعث الله إليهم الياس نبياً وكان يوشع لما فتح الشام قسمها على بني إسرائيل وان سبطاً منهم حصل في قسمته بعلبك ونواحيها وعليهم ملك يومئذ اسمه ارحب وكان قد أضل قومه وكان له صنم من ذهب اسمه بعل فغضب الملك على الياس وهمّ بتعذيبه وقتله فلما أحس الياس بالشر خرج هارباً ولاذ بشواهق الجبال وصعيد المغاور وظل سبع سنين هائماً يفترش الأرض ويتوسد الحجارة ويأكل من نبات الأرض وثمار الشجر وكانوا قد وضعوا عليه العيون فلما طال عليه الأمر وضاق ذرعاً دعا ربه فقيل انظر يوم كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا فما جاءك من شيء فاركبه فخرج الياس ومعه اليسع حتى إذا كان بالموضع الذي أمر به إذ أقبل فرس من نار فوثب عليه فانطلق به الفرس فناداه يا الياس ما تأمرني ؟ فقذف إليه الياس بكسائه من الجو فكان ذلك علامة استخلافه إلى آخر تلك القصة البديعة التي تصور الجهاد في سبيل العقيدة والثبات على المبدأ •

وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾

الاعراب :

(وإن لوطاً لمن المرسلين) وهذه هي القصة الخامسة ، والواو استئنافية أو عاطفة وإن واسمها واللام المزحلقة ومن المرسلين خبرها •

(إذ نجيناه وأهله أجمعين) الظرف متعلق بمحذوف تقديره اذكر وجملة نجيناه من الفعل والفاعل والمفعول في محل جر بإضافة الظرف اليها وأهله مفعول معه أو عطف على الهاء وأجمعين تأكيد . (إلا عجوزاً في الغابرين) إلا أداة استثناء وعجوزاً مستثنى وفي الغابرين صفة.(ثم دمرنا الآخرين) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي ودمرنا الآخرين فعل ماض وفاعل ومفعول به وهم كفار قومه .

(وإنكم لتمرون عليهم مصبحين) الواو عاطفة أو حالية وان واسمها واللام المزحلقة وتمرون فعل مضارع وفاعل وعليهم متعلقان بتمرون ومصبحين حال وهي تامة . (وبالليل أفلا تعقلون) الواو عاطفة وبالليل عطف على مصبحين فهو حال أخرى والحال هنا محمول على المكان والباء للملابسة والهمزة داخلة على مقدر عطف عليه قوله فلا تعقلون والتقدير تشاهدون ذلك فلا تعقلون أي تعتبرون به .

وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ * فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ

إِنَـٰثًا وَهُمْ شَـٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَـٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾

اللغـــة :

(أبق) : هرب من قومه بغير إذن ربه وهو للعبد خاصة إذ يهرب من سيده ولكن أطلق عـلى يونس عـلى طريق الاستعارة التصريحية التبعية أو على طريق المجاز المرســل والعلاقة هي استعمال المقيد في المطلق وفي المصباح : « أبق العبد أبَقاً من بابي تعب وقتل في لغــة والأكثر من باب ضـرب إذا هرب من سيده من غـير خوف ولا كد والإباق بالكسر اسم منه فهو آبق والجمع أبّاق مثل كافر وكفار » .

(المدحضين) : المغلوبين بالقرعة ، وساهم أي قارع وغالب أهل السفينة بالقرعة ، وستأتي قصة يونس مختصرة في باب الفوائد .

(مليم) : داخل في الملامة يقال : ألام فلان إذا فعل ما يلام عليه وفي المصباح : « لامه لوماً من باب قال : عذله فهو ملوم على النقص والفاعل لائم والجمع لوم مثل راكع وركع وألامه بالألف لغة فهو ملام والفاعل مليم والاسم الملامة والجمع ملاوم واللائمة مثل الملامة وألام الرجل إذا فعل ما يستحق عليه اللوم وتلوّم تلوماً : تمكث .

(العراء) : المكان الخالي لا شجر فيـه ولا شيء يغطيه وهو مشتق من العري وهو عدم السترة شبهت الأرض الجرداء بذلك لعدم استتارها بشيء العرا بالقصـر الناحية ومنـه اعتراه أي قصد عراه وعبارة القاموس : « العراء الفضاء لا يستتر فيه بشيء وجمعه اعراء وأعرى سار فيه وأقام » •

(يقطين) : قال في القاموس : « مالا ساق له من النبات ونحوه وبهاءٍ : القرعة الرطبة » وعبارة الزمخشري : « واليقطين كل ما ينسدح على وجه الأرض ولا يقوم على ساق كشجرة البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان إذا أقام به وقيل هو الدباء » وانما خص القرع لأنه يجمع بين برد الظل ولين الملمس وكبر الورق وان الذباب لا يقربه •

الاعراب :

(وإن يونس لمن المرسلـين) استئناف أو عطف مسوق لسرد القصة السادسة وهي قصة يونس عليه السلام وسأتي خلاصة وافية عنها في باب الفوائد ، وان واسمها واللام المزحلقة ومن المرسلين خبر إن • (إذ أبق الى الفلك المشحون) إذ ظرف للمرسلـين أي هو من المرسلين حتى في هذه الحالة وجملة أبق في محـل جر باضافة الظرف اليهـا والى الفلك جـار ومجرور متعلقـان بأبق والمشحون نعت • (فساهم فكان من المدحضين) الفاء عاطفة وساهم فعل ماض وفاعله ضمير مستتر تقديره هو فكان عطف على فساهم واسمها مستتر تقديره هو ومن المـدحضين خبر كان • (فالتقمـه الحوت وهو مليم) الفاء عاطفة على محذوف يدرك من سياق الكلام أي فألقوه في البحر فالتقمه

الحوت ، وقيل فألقى نفسه في الماء • والتقمه فعل ومفعول به مقدم والحوت مبتدأ مؤخر والواو للحال وهو مبتدأ ومليم خبر والجملة في محل نصب على الحال والمعنى أنه أتى ما يستحق عليه اللوم •

(فلولا أنه كان من المسبحين) الفاء عاطفة ولولا حرف امتناع لوجود وان وما في حيزها مبتدأ خبره محذوف وجوباً وأن واسمها وجملة كان خبرها واسم كان مستتر تقديره هو ومن المسبحين خبرها• (للبث في بطنه إلى يوم يبعثون) اللام واقعة في جواب لولا ولبث فعل ماض وفاعله ضمير مستتر تقديره هو وفي بطنه متعلقان بلبث أو بمحذوف حال أي مستقر والى يوم متعلقان بلبث وجملة يبعثون مضاف إليها الظرف ويبعثون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل • (فنبذناه بالعراء وهو سقيم) الفاء عاطفة على محذوف أي أمرنا الحوت بنبذه فنبذناه ، ونبذناه فعل وفاعل ومفعول به وبالعراء متعلقان بنبذناه والواو حالية وهو مبتدأ وسقيم خبر أي معتل مما حلّ به • (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) وأنبتنا عطف على فنبذناه وعليه متعلقان بأنبتنا وشجرة مفعول به ومن يقطين نعت لشجرة • (وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون) الواو حرف عطف وأرسلناه فعل وفاعل ومفعول به والى مائة ألف متعلقان بأرسلناه وأو حرف عطف ويزيدون فعل مضارع مرفوع وسيأتي القول مفصلاً في « أو » في باب الفوائد • (فآمنوا فمتعناهم الى حين) الفاء عاطفة وآمنوا فعل ماض مبني على الضم والواو فاعل والفاء عاطفة ومتعناهم فعل وفاعل ومفعول به والى حين متعلقان بمتعناهم •

(فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون) الفاء حرف عطف عطفت هذه الجملة على قوله فاستفتهم وان بعد المدى قال البيضاوي : « فاستفتهم : معطوف على مثله في أول السورة فأمر أولاً باستفتائهم

عن وجه انكار البعث وساق الكلام في تقديره جاراً لما يلائمه من القصص موصولاً بعضها ببعض ثم أمر باستفتائهم عن وجه القسمة حيث جعلوا لله البنات ولأنفسهم البنين في قولهم الملائكة بنات الله » وقد تقدم أن الفاء الأولى هي الفصيحة لأنها واقعة في جواب شرط مقدر وقد ثار نقاش حول هذا العطف البعيد سنفصل فيه القول في باب الفوائد • واستفتهم فعل أمر وفاعل مستتر تقديره أنت والهاء مفعول به والهمزة للاستفهام الإنكاري وسيأتي معناه في باب البلاغة ولربك خبر مقدم والبنات مبتدأ مؤخر والواو حرف عطف ولهم خبر مقدم والبنون مبتدأ مؤخر • (أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون) أم حرف عطف معادلة للهمزة كأن المستفهم يدعي ثبوت أحد الأمرين ويطلب تعيينه منهم قائلاً : أي هذين الأمرين تدعونه • وخلقنا فعل وفاعل والملائكة مفعول به وإناثاً حال والواو للحال وهم مبتدأ وشاهدون خبر والجملة نصب على الحال •

(ألا إنهم من إفكهم ليقولون) كلام مستأنف مسوق لإبطال مذهبهم الفاسد ببيان انه افك صريح لا دليل يدعمه وألا أداة تنبيه وان واسمها ومن إفكهم متعلقان بيقولون واللام المزحلقة وجملة يقولون خبر إنهم • (ولد الله وانهم لكاذبون) ولد الله فعل وفاعل والجملة مقول قولهم والواو للحال وان واسمها واللام المزحلقة وكاذبون خبرها • (أصطفى البنات على البنين) الهمزة المفتوحة للاستفهام الانكاري استغنى بها عن همزة الوصل في التوصل للنطق بالساكن ، واصطفى فعل ماض والفاعل مستتر تقديره هو يعود على الله والبنات مفعول به وعلى البنين متعلقان باصطفى بعد تضمينه معنى أفضل • (ما لكم كيف تحكمون) ما اسم استفهام ولكم خبر أي ماثبت

واستقر لكم على جهة الانكار والجملة مستأنفة وكيف اسم استفهام في محل نصب على الحال أو المفعولية المطلقة وتحكمون فعل مضارع وفاعل والجملة مستأنفة أيضاً فليس لإحدى الجملتين تعلق بالأخرى . (أفلا تذكرون) الهمزة للاستفهام الانكاري أيضاً والفاء عاطفة على محذوف مفهوم من السياق أي أعميتم عن الحقائق وضللتم عن الشواهد ، ولا نافية وتذكرون فعل مضارع مرفوع وفاعل وأصله تتذكرون ومفعول تذكرون محذوف تقديره أنه منزه عن الولد .

(أم لكم سلطان مبين) أم حرف عطف بمعنى بل فهو للاضراب الانتقالي ولكم خبر مقدم وسلطان مبتدأ مؤخر ومبين نعت لسلطان .

البلاغة :

في هذه الآيات يبدو الأسلوب المكي واضح الدلالة ، ظاهر المفهوم ، مرهف العاطفة فقد تكرر فيه الاستفهام الانكاري ، ناعياً عليهم جهلهم المفرط في الغباء ، القائم على ثلاث جهالات : أولاها التجسيم لأن الولادة من خصائص الأجسام وثانيتها تفضيل أنفسهم على ربهم حيث جعلوا أوضع الجنسين في اصطلاحهم ومفهومهم له وأرفعهما لهم وتلك جهالة ما بعدها جهالة وثالثتها أنهم استهانوا بأكرم خلق الله وأقربهم إليه حيث أنثوهم وقد كانوا يتعايرون بوصف الأنوثة ويعتبرونه من دلائل المهانة وسمات الخسة .

الفوائد :

١ ــ اختلف في «أو» هذه اختلافاً كثيراً فقال الفراء : معناها بل يزيدون فتكون عنده للإضراب ويكون الإخبار الأول بحسب ما يظهر

للناس إذا رأوهم والثاني اضراب لما في الواقـع ونفس الأمر فالمعنى أرسلناه الى جماعة يحزرهم الناس مائة الف وهم أزيد من ذلك وفيه نكتة جليلة وهي الانتقال من الأدنى الى الأعلى لما له من الوقع في النفس ولفت النظر إليه بخلاف ما إذا أخبر بالأعلى من أول الأمر ، وقال بعض الكوفيين هي بمعنى الواو ، أما البصريون فلهم فيها أقوال :

١ ــ قيل هي للإبهام .

٢ ــ وقيل هي للتخيير أي إذا رآهم الرائي تخير بين أن يقول هم مائة ألف أو يقول هم أكثر ، قال ابن هشام : نقل ابن الشجري هذا القول عن سيبويه وفي ثبوته عنه نظر ولا يصح التخيير بين شيئين الواقع أحدهما .

٣ ــ وقيل هي للشك مصروفاً الى الرائي .

٤ ــ وقيــل إنها للإباحة أي لك أن تحزرهــم وتقدر عددهم كيف تشاء .

٥ ــ وقيل هي للشك بمعنى أن أصــدق الحادسين يشك في عددهم .

وأحسن ما قرأناه قول الزمخشري: في مرآى الناظر أي إذا رآها الرائي قال هي مائة ألف أو أكثر والغرض الوصف بالكثرة .

٢ ــ العطف البعيد :

قوله «فاستفتهم» الآية معطوف على ماقبله وهو قوله «فاستفتهم أهم أشد خلقاً» وقد منع النحاة الفصل بجملة فما بالك بجمل بل بسورة ،

ولكن ما استقبحه النحـــاة وارد في عطف المفردات وأما الجمـل فلاستقلالها يغتفر فيها وهذا الكلام لتلاحمه وتعانقه صار بمثابة الجملة الواحدة فانتفى عنه البعد .

٣ ـ خلاصة قصة يونس :

غاضب ذو النون قومه لما لم ينزل بساحتهم العذاب الذي وعدهم به فذهب مغاضباً وكان من حقه أن لا يذهب فقد كان ضيق العطن قليل الذرع ولما ركب السفينة وقفت في لج البحر فقال ملاحوها هنا عبد أبق من سيده تظهره القرعة وكان من عادتهم أن السفينة إذا كان منها آبق أو مذنب لم تسر وكان ذلك بدجلة لأنه أرسل الى أهل نينوى من أرض الموصل فلما ساهم أي قارع أهل السفينة كان من المغلوبين بالقرعة فألقوه في البحر فابتلعه الحوت إلى آخر تلك القصة البديعة .

فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٥٧) وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨) سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٥٩) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٦٠) فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (١٦١) مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (١٦٢) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ (١٦٣) وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ (١٦٤)

اللغــــة :

(الجنة) : بكســر الجيم الملائكة سموا بذلك لاجتنانهم عن الأبصار وفي الأساس : « جنة : ستره فاجتن واستجن بجُنّة : استتر

بها واجتن الولـد في البطن وأجنّته الحامل ، وحبذا مجن ابن أبي ربيعة » .

الاعراب :

(فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين) الفاء الفصيحة وأتوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وبكتابكم متعلقان به وإن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص والتاء اسمها وصادقين خبرها وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله . (وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق للانحـاء عليهم باللائمـة واستركاك عقولهم ، بأن من نسبوهم إلى الله تعالى يعلمون مصائرهم المحزنة . وجعلوا فعل وفاعل والظرف متعلق بمحذوف مفعول به ثان لجعلوا وبين الجنة عطف ونسباً مفعول جعلوا الأول فهي حكاية يجب أن تذيع وتشيع لتكون شاهد على حقيقة خبالهم . (ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون) الواو حالية واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وعلمت الجنة فعـل وفاعـل وإن واسمهـا واللام المزحلقـة ومحضرون خبرها وإن وما في حيزها سدت مسد مفعولي علمت وإنما كسرت همزتهـا لدخول اللام في خبرها والضمـير في انهم لمحضرون للكفرة والمعنى انهم يقولون ما يقولون في الملائكة والحال أن الملائكة عالمون انهم في ذلك القول الهراء كاذبون .

(سبحان الله عمـا يصفون) سبحان الله مفعول مطلق لفعـل محذوف وعما متعلقان بسبحان وجملة يصفون صلة والعائد محذوف والجملة معترضة وهي مسوقة لحكاية تنزيه الملائكة الله سبحانه عما

وصفه به المشركون • (إلا عباد الله المخلصين) إلا أداة استثناء وعباد الله المخلصين استثناء منقطع من المحضرين كأنهم ليسوا منهم والمستثنى منه إما فاعل جعلوا وإما فاعل يصفون وإما ضمير محضرون أي لكن عباد الله المخلصين ناجون ويجوز أن يكون الاستثناء متصلاً واختاره أبو البقاء وليس ببعيد • (فإنكم وما تعبدون ، ما أنتم عليه بفاتنين) الفاء تعليلية وان واسمها والواو واو المعية وما موصول مفعول معه وقد سدت مسد خبر إن أي انكم وآلهتكم قرناء لا تزالون تعبدونها على حد قولك كل رجل وصنيعته أي مقترنان ، وسيأتي تفصيل هذه القاعدة في باب الفوائد • وما نافية حجازية وأنتم اسمها وعليه متعلقان بفاتنين والباء حرف جر زائد وفاتنين خبر ما ويجوز أن تكون ما معطوفة على اسم ان وجملة ما أنتم خبر إن والمعنى على هذا انكم ومعبودكم ما أنتم ولا هو فغلب المخاطب ، يقال فتن فلان على فلان امرأته أي أفسدها عليه ورجح الزمخشري والبيضاوي هذا الوجه •

(إلا من هو صال الجحيم) إلا أداة حصر ومن مفعول فاتنين والاستثناء مفرغ ويجوز أن تقدر مفعولاً لفاتنين أي لأحد فتكون إلا أداة استثناء ومن مستثنى من المفعول المحذوف وهو مبتدأ وصال خبر مرفوع بالضمة المقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين والجحيم مضاف إليه وقد أفرد حملاً على لفظ من كما أفرد هو والجملة صلة الموصول• (وما منّا إلا له مقام معلوم) الواو استئنافية وما نافية ومنا خبر مقدم والمبتدأ محذوف أقيمت صفته مقامه والتقدير

وما منا أحد إلا له مقام معلوم كقوله :

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

أي أنا ابن رجل جلا الأمور . ويجوز أن تكون منا صفة لمحذوف هو المبتدأ والخبر جملة إلا له مقام معلوم وإلا أداة حصر وله خبر مقدم ومقام مبتدأ مؤخر ومعلوم صفة وعبارة القرطبي : « وأنزل الله تعالى حكاية عن قول الملائكة : وما منا إلا له مقام معلوم والتقدير عند الكوفيين وما منا إلا من له مقام معلوم فحذف الموصول وهو من وتقديره عند البصريين ، وما منا ملك إلا له مقام معلوم أي مكان معلوم في العبادة » .

الفوائد :

يجب حذف الخبر إذا كان المبتدأ معطوفاً عليه اسم بواو هي نص في المعية نحو كل رجل وضيعته أي حرفته سميت بذلك لأن صاحبها يضيع فيها وكل صانع وما صنع فكل مبتدأ وصانع مضاف إليه وما صنع معطوف على المبتدأ والخبر محذوف وجوباً اي مقترنان وإنما حذف لدلالة الواو وما بعدها على المصاحبة والاقتران ، أما إذا لم يكن هناك نص على المعية فيجوز حذفه ويجوز ذكره ومن الثاني قول الفرزدق :

تمنوا لي الموت الذي يشعب الفتى

وكل امرىء والموت يلتقيان

فآثر ذكر الخبر وهو جملة يلتقيان . ويشعب : يفرق .

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾

الاعراب :

(وإنا لنحن الصافون) الواو عاطفة وان واسمها واللام المزحلقة ونحن مبتدأ أو ضمير فصل والصافون خبر نحن والجملة الاسمية خبر إنا أو الصافون خبر انا أي نقف صفاً واحداً في الصلاة أو في ساحة الجهاد ومفعول الصافون محذوف أي نصف أقدامنا . (وإنا لنحن المسبحون) عطف على الآية السابقة . (وإن كانوا ليقولون لوأن عندنا ذكراً من الأولين) الواو عاطفة وإن مخففة من الثقيلة مهملة ، أو اسمها ضمير الشأن وجملة كانوا خبرها إن أعملت ، وكان واسمها واللام الفارقة وجملة يقولون خبر كان وجملة لو وما في حيزها مقول قولهم ولو شرطية وان وما في حيزها فاعل لفعل محذوف أي ثبت وان حرف مشبه بالفعل والظرف متعلق بمحذوف خبر أن المقدم وذكراً اسمها المؤخر ومن الأولين نعت لذكراً . (لكنا عباد الله المخلصين) اللام واقعة في جواب لو وكان واسمها وعباد الله خبرها والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم والمخلصين نعت لعباد

الله • (فكفروا به فسوف يعلمون) الفاء الفصيحة وكفروا فعل ماض وفاعل والفاء عاطفة وسوف حرف استقبال ويعلمون فعل مضارع مرفوع وفاعل •

(ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) كلام مستأنف مسوق لتقرير الوعيد وتصويره بالقسم لتأكيده والعناية بهواللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق وسبقت كلمتنا فعل وفاعل ولعبادنا متعلقان بسبقت والمرسلين نعت لعبادنا • (انهم لهم المنصورون) إن واسمها واللام المزحلقة وهم مبتدأ أو ضمير فصل والمنصورون خبر هم والجملة خبر إنهم أو خبر إنهم وضمير الفصل لا محل له • (وإن جندنا لهم الغالبون) عطف على نظيرتها الآنفة الذكر •

الفوائد :

عودة الى ضمير الفصل :

تقدم في هذا الكتاب بحث ضمير الفصل ونضيف هنا الى ما تقدم ان تسميته ضميراً مجاز لمشابهة صورته ، وقد اتفق جمهور البصريين على انه ملغى لا محل له لكنهم اختلفوا مع ذلك في كونه اسماً أو حرفاً فقال جمهورهم هو اسم ألغي كما ألغيت أسماء الأفعال وأل الموصولة ، وقال بعضهم هو حرف وذلك لا ستنكارهم خلو الاسم عن الإعراب لفظاً ومحلاً ولأن الغرض به دفع التباس الخبر الذي بعده بالوصف وهذا هو معنى الحرف يعني إفادة المعنى في غيره فلذا صار حرفاً وانخلع عنه لباس الاسمية نظير كاف الخطاب فإنه لما تجرد عن معنى الاسمية ودخل في معنى الحرف وهو إفادته في غيره

وقيل له محل من الإعراب وهو مذهب الكوفيين ويقولون هو توكيد لما قبله فإن ضمير الرفع قد يؤكد به المنصوب والمجرور نحو ضربتك أنت ومررت بك أنت •

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

اللغــة :

(بساحتهم) : بفنائهم ، قال الفراء : العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم ، وأصــل الساحة الفناء الخالي من الأبنية وجمعها سوح فألفها منقلبة عن واو فتصغر سويحة والجمع والتصغير يردان الأشياء الى أصولها • وقال الراغب : إنها من ذوات الياء حيث عدها في مادة سيح ثم قال الراغب : « الساحة المكان الواسع ومنه ساحــة الدار والسائح الماء الجاري في الساحة وساح فلان في الأرض مرمر السائح ورجل سائح وسياح » وعلى هذا يكون لها مادتان ولكن كلام الراغب فيه قصور • وفي الأساس ذكرها في مادة سوح ونص عبارته : « عمر

الله تعالى بك ساحتك ، وتقول احمرّ اللثّوح ، واغبرّت السوح إذا وقع الجدب وقال أبو ذؤيب :

وكان سيان أن لا يسرحوا نعما

أو يسرحوه بها واغبرت السوح

ولم يذكر في الأساس الساحة في مادة سيح فهما مادتان . وفي القاموس أورد الساحة من بنات الواو فقال : « الساحة الناحية وفضاء بين دور الحي والجمع ساحٌ وسُوحٌ وساحات » ولم يذكرها في مادة ساح يسيح سيحاً وسيحاناً الخ .

الاعراب :

(فتول عنهم حتى حين) الفاء الفصيحة أي إن تبينت حقيقة أمرهم فتول عنهم وتول فعل أمر مبني على حذف حرف العلة أي أعرض عنهم والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت وعنهم متعلقان بتول وحتى حرف غاية وجر وحين مجرور بحتى والجار والمجرور متعلقان بتول . (وأبصرهم فسوف يبصرون) الواو عاطفة وأبصرهم فعل أمر وفاعل مستتر ومفعول به أي إذا نزل بساحتهم العذاب والفاء رابطة لجواب الطلب وسوف حرف استقبال ويبصرون فعل مضارع وفاعل والمفعول به محذوف أي ما يحيق بهم جزاء كفرهم . (أفبعذابنا يستعجلون) الهمزة للاستفهام ومعنى الاستفهام هنا التهديد والوعيد والفاء عاطفة على محذوف يقدر بحسب المقام وبعذابنا متعلقان بيستعجلون ويستعجلون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل .

(فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنـذرين) الفاء عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط ونزل فعل ماض وفاعله ضمير مستتر تقديره هو أي العذاب وبساحتهم متعلقان بنزل والفاء رابطة لجواب إذا وساء فعل جامد لإنشاء الذم وصباح المنذرين فاعل والمخصوص بالذم محـذوف تقديره صباحهـم وقيل إن ضمير ساء يعود عـلى المخصوص وان التمييز محـذوف وان المذكور مخصوص لا فاعل وسيأتي المزيد من هذا البحث .

(وتول عنهم حتى حين) عطف على ما تقدم وقد سبق اعراب هذه الآية المكررة . (وأبصر فسوف يبصرون) تقدم اعرابها وحذف مفعول أبصر اختصاراً لدلالة الأول عليه . (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) سبحان ربك مفعول مطلق لفعل محذوف ورب العزة بدل وعما متعلقان بسبحان وجملة يصفون صلة ما . (وسلام على المرسلين) سلام مبتدأ ساغ الابتداء به لما فيه من معنى الدعاء وعلى المرسلين خبر . (والحمد لله رب العالمين) الحمد مبتدأ ولله خبر ورب العالمين بدل أو صفة .

البلاغـة :

في قوله « فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين » استعارة تمثيلية فقد شبه العـذاب النازل بهم بعـد ما أنذروا به فلم يبالوا الانذار ، وأصموا آذانهم عنه بجيش أنذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يكترثوا لإنذاره ولم يتخـذوا الأهبـة والاحتياط وما عسى أن ينجيهم من هول الكارثة ويمكنهم من تفادي ويلاتها الطارئة وإنما

خصص الصباح لأنه كان من عادة مساعيرهم وكماتهم الإغارة فسميت الغارة صباحاً لأنها تقع فيه عادة ولهذا استفصح العرب هذه الآية .

الفوائـــد :

كل فعل ثلاثي متصرف تام مثبت قابل للتفاوت مبني للمعلوم وليس الوصف منه على وزن أفعل فعلاء صالح للتعجب منه فإنه يجوز استعماله على فعُل بضم العين إما بالأصالة كظرف وشرف أو بالتحويل بأن يكون في الأصل مفتوح العـين كضرب وقتل أو مكسورها كعلم وفهم بضم العـين فيهن وإنما حولت لتلحق بأفعال الغرائز ولتصير قاصرة وجامدة ثم يجري حينئذ مجرى نعم وبئس في إفادة المدح والذم وفي حكم الفاعل وحكم المخصوص تقول في المدح فهم الرجل زيد وفهم رجلاً زيد وفي الذم خبث الرجل عمرو وخبث رجلاً عمرو ومن أمثلته ساء فإنه في الأصل سوأ بالفتـح من السوء ضد السرور من ساءه الأمر يسوءه إذا أحزنه فهو متعدٍ متصرّف فحول الى فعل بالضم فصار قاصراً ثم ضمن معنى بئس فصار جامداً قاصراً محكوماً لفاعله بما يحكم لفاعل بئس تقول ساء الرجـل زيد وفي التنزيل « وساءت مرتفقاً » ومما يحتمـل الفاعلية والتميز « ساء ما يحكمون » وقـد تقدم بحثه .

سُورة ص
مكية وآياتها ثمان وثمانون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾

الاعراب :

(ص والقرآن ذي الذكر) ص تقدم القول فيها مفصلاً وسيرد مزيداً منه في باب الفوائد . والواو حرف قسم والقرآن مجرور بواو القسم والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم المحذوف وجواب القسم محذوف على الأرجح تقديره إنه لمعجز أو لقد جاءكم الحق وسيرد المزيد من إعراب هذه الآية وما قيل فيها وذي الذكر نعت للقرآن ومعنى الذكر البيان أو الشرف أو الموعظة والذكرى وكلها صحيح . (بل الذين كفروا في عزة وشقاق) بل حرف عطف واضراب

انتقالي والذين مبتدأ وكفروا صلته وفي عزة خبره وشقاق عطف على عزة أي تكبر وتجبر وشقاق أي امتناع عن قبول الحق • (كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص) كم خبرية في محل نصب مفعول مقدم لأهلكنا وأهلكنا فعل وفاعل ومن قبلهم متعلقان بأهلكنا ومن قرن تمييز كم الخبرية والمراد بالقرن الأمة ، فنادوا الفاء عاطفة ونادوا فعل ماض والواو فاعل والواو حالية ولات حرف مشبه بليس وسيأتي القول عنهـا وعن التاء المتصلة بها مفصـلاً في باب الفوائد واسمها محذوف تقديره الحين وحين مناص خبرها أي نجاة •

(وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقـال الكافرون هذا ساحر كـذاب) الواو عاطفة وعجبوا فعل ماض والواو فاعل وأن مصدرية وهي مع مافي حيزها مصدر منصوب بنزع الخافض أي عجبوا من مجيء منذر ومنذر فاعل مؤخر ومنهم نعت لمندر والواو حرف عطف وقال الكافرون فعل وفاعل وفيه وضع الظاهر موضع المضمر تسجيلاً للكفر عليهم وامعاناً في الغضب عليهم وإشعاراً بأن كفرهم حداهم الى هذا القول وهذا مبتدأ وساحر خبر وكذاب خبر ثان أو نعت لساحر • (أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هـذا لشيء عجاب) الهمزة للاستفهام التعجبي أي تعجبوا من هذا الحصر لأنهم قاسوا الغائب على الشاهد جهـلاً منهم وارتطاماً بسوء الغفلة وجعـل فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو والآلهة مفعول به أول وإلهاً مفعول به ثان وواحداً صفة وإن واسمها واللام المزحلقة وشيء خبرها وعجاب صفة لشيء • قال الجوهري : العجيب الأمر الذي يتعجب منه وكذلك العجاب بالضم والعجاب بالتشديد أكثر منه •

الفوائـد :

١ ـ جواب القسم المحذوف وتقديره :

تقدم القول مفصلاً في فواتح السور ورجحنا أنها خبر لمبتدأ محذوف أي هذه صاد • وأما جواب القسم فقد اختلفوا فيه كثيراً وأصح ما رأينـاه هو أنه محـذوف وقد اقتصـر عليه الزمخشري والبيضاوي ، قال الحوفي تقديره : لقد جاءكم الحق وقال ابن عطية تقديره : ما الأمر كما تزعمون وقال الزمخشري تقديره : إنه لمعجز •

٢ ـ القول في لات :

لات : هي إحدى الحروف العاملات عمـل ليس وهي ما ولا ولات وإن لشبهها بها في النفي ، وأما لات فأصلها لا النافية ثم زيدت عليها التاء لتأنيث اللفظ أو للمبالغة في معناه وخصت بنفي الأحيان ، وزيادة التاء هنا أحسن منها في ثمت وربت لأن لا محمولة على ليس وليس تتصل بها التاء ومن ثم لم تتصـل بلا المحمولة على إن وهي كلمتان عنـد الجمهور : لا النافيـة وتاء التأنيث وحركت لالتقـاء الساكنين ، وقال أبو عبيدة وابن الطراوة كلمة وبعض كلمة وذلك انها لا النافية والتاء الزائدة في أول الحين وقيل كلمة واحدة وهي فعل ماض وعلى هذا هل هي ماضي يليت بمعنى ينقص استعملت للنفي أو هي ليس بكسر الياء قلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها وأبدلت السين تاء قولاً حكاهما في المغني وعملها اجماع من العرب ، وله شرطان : كون معموليها اسمي زمان وحذف أحدهما والغالب في المحذوف هو الاسم نحو ولات حين مناص أي ليس الحين حين فرار ، ومن القليل قراءة

بعضهم برفع الحين على أنه اسمها وخبرها محذوف أي ليس حين فرار حيناً لهم وقرىء أيضاً ولات حين مناص بخفض حين فزعم الفراء أن لات تستعمل حرفاً جاراً لاسم الزمان خاصة كما أن مذ ومنذ كذلك . وقد جرى المتنبي على هذا القول بقوله :

لقـــد تصبرت حتى لات مصطـــبر
فالآن اقحـــم حـــتى لات مقتحـــم

قال أبو البقاء : والجر به شاذ وقد جر به العرب وأنشدوا :

طلبـــــوا صلحنـــــا ولات أوان
فأجبنـــا أن لات حـــين بقـــاء

وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَـٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾

الاعراب :

(وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم) الواو عاطفة على محذوف سيأتي تقديره في باب الفوائد ويجوز أن تكون استئنافية والكلام مستأنف مسوق لتقرير تآمرهم بعد انصرافهم من مجلس اجتماعهم عند أبي طالب • وانطلق الملأ فعل وفاعل ومنهم حال وأن مصدرية وهي مع ما بعدها في تأويل مصدر مقول قول محذوف أي انطلقوا بقولهم أن امشوا ورجح الزمخشري أن تكون مفسرة لانطلقوا لأنه متضمن معنى القول ، قال الزمخشري : « لأن المنطلقين من مجلس التقاول لابد لهم أن يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم » وعلى كل هي في موضع نصب على الحال أيضاً والمعنى انطلقوا حال كونهم قائلين بعضهم لبعض ويجوز أن تكون مصدرية منصوبة هي ومدخولها بنزع الخافض أي بأن امشوا ، واصبروا عطف على امشوا وعلى آلهتكم متعلقان باصبروا على حذف مضاف أي على عبادتها أي ليس لكم يدان في مغالبة محمد فما لكم إلا الصبر • وليس المراد بالانطلاق هنا المشي بل انطلاق ألسنتهم بهذا الكلام ، كما انه ليس المراد المشي المتعارف بل الاستمرار على الشيء •

(إن هذا الشيء يراد) الجملة تعليل للأمر بالصبر وان واسمها واللام المزحلقة وشيء خبرها وجملة يراد صفة لشيء • (ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق) ما نافية وسمعنا فعل وفاعل وبهذا متعلقان بسمعنا والإشارة الى التوحيد الذي يدعو اليه محمد وفي الملة حال من هذا والآخرة نعت والمراد بها ملة عيسى عليه السلام وإن نافية وهذا مبتدأ وإلا أداة حصر واختلاق خبر هذا أي افتعال ومحض كذب • (أءنزل عليه الذكر من بيننا) الهمزة للاستفهام

الإنكاري وأنزل فعل ماض مبني للمجهول وعليه متعلقان بأنزل والذكر نائب فاعل ومن بيننا حال فهم أنكروا أن يتميز محمد صلى الله عليه وسلم بهذا الشرف من بين أشرافهم ورؤسائهم وقد كرروا هذا المعنى كثيراً فقالوا : « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » قالوا ذلك ورددوه مراراً تنفيساً عن الغيظ الذي تجيش به نفوسهم والموجدة التي تعتلج في ضمائرهم •

(بل هم في شك من ذكري بل لمّا يذوقوا عذاب) بل اضراب انتقالي عن مقدر فكأنه قال : انكارهم للذكر ليس عن علم بل هم في شك منه • وهم مبتدأ وفي شك خبر ومن ذكري نعت لشك وبل اضراب انتقالي أيضاً مسوق لبيان سبب الشك الذي ترسّب في ضمائرهم وهو أنهم لمّا يذوقوا العذاب ولو أنهم ذاقوه وعانوا بلاءه وكابدوا هواله لصدقوا ولما لجئوا الى مدافعة اليقين بالشك• ولما حرف نفي وجزم ويذوقوا فعل مضارع مجزوم بلما والواو فاعل وعذاب مفعول به وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة لمراعاة الفواصل • (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) أم حرف عطف بمعنى بل فهي منقطعة وعندهم ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وخزائن رحمة ربك مبتدأ مؤخر والعزيز الوهاب صفتان لربك •

(أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما) أم حرف عطف بمعنى بل وعبارة الزمخشري والبيضاوي متشابهة قال البيضاوي : « كأنه لما أنكر عليهم التصرف في نبوته بأنه ليس عندهم خزائن رحمته التي لا نهاية لها أردف ذلك بأنه ليس لهم مدخل في أمر هذا العالم الجسماني الذي هو جزء يسير من خزائن رحمته فمن أين لهم أن يتصرفوا بها » ولهم خبر مقدم وملك السموات والأرض مبتدأ

مؤخر وما عطف على السموات والأرض والظرف متعلق بمحذوف صلة ما • (فليرتقوا في الأسباب) الفاء الفصيحة أي هي جواب شرط مقدر تقديره إن زعموا ذلك فليصعدوا في المعارج الموصلة الى العرش حتى يستووا عليه ، واللام لام الأمر ويرتقوا فعل مضارع مجزوم بلام الأمر وفي الأسباب متعلقان بيرتقوا •

(جند" ما هنالك مهزوم من الأحزاب) اختلف المعربون في إعراب هذه الآية اختلافاً كثيراً لأنها تحمل عدة وجوه نورد أهمها فيما يلي :

جند خبر لمبتدأ محذوف أي هم جند وما نكرة تامة صفة لجند على سبيل التحقير أي هم جند حقير فإن ما إذا كانت صفة تستعمل للتعظيم أو التحقير والثاني هو المراد ولك أن تعربها زائدة وهنالك اسم إشارة في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بمحذوف صفة لجند ومهزوم نعت ثالث لجند أو خبر ثان للمبتدأ المحذوف ويجوز أن يكون جند مبتدأ ساغ الابتداء به لوصفه وهنالك خبره واختار هذا الوجه أبو البقاء وسنورد لك عبارته في باب الفوائد ومن الأحزاب جار ومجرور متعلقان بمهزوم •

الفوائد :

١ — الفرق بين لمّا ولم :

ونثبت هنا الفرق الدقيق بين لمّا ولم وبه يتبين لماذا أوثرت لمّا في قوله « بل لمّا يذوقوا عذاب » فهما تشتركان في أمور وهي الحرفية والاختصاص بالمضارع والنفي والجزم والقلب للمضي وجواز دخول همزة الاستفهام عليهما ، وتنفرد لم عن لمّا بمصاحبة أداة الشرط

نحو « وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » لأن الشرط يليه مثبت لم ولا يليه مثبت لمّا ، وتنفرد لم عن لما أيضاً بجواز انقطاع نفي منفيها نحو « هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً » لأن المعنى أنه قد كان بعد ذلك شيئاً مذكوراً ، وتنفرد لمّا عن لم بجواز حذف مجزومها كقاربت المدينة ولما ، أي ولمّا أدخلها ، ولا يجوز ذلك في لم وحملوا قول إبراهيم بن علي بن محمد الهرمي على الضرورة وهو :

احفظ وديعتك التي استودعتها

يوم الأعازب إن وصلت وان لم

أي وإن لم تصل ، وتنفرد لما عن لم أيضاً بتوقع ثبوت منفيها كقوله تعالى « بل لما يذوقوا عذاب » أي الى الآن ما ذاقوه وسوف يذوقونه ، وفرق سيبويه بينها وبين لم في هذا الصدد بأن لم نفي لفعل يتوقع وجوده لم يقبل مثبته قد ، ولما نفي لما يتوقع وجوده أدخل على مثبته قد ، ومن الفرق الدقيق أنه لا يجوز أن تقول الحجر لم يتكلم و يجوز أن تقول الحجر لا يتكلم لأنه ما بعد لم يفيد التوقع وذلك مستحيل .

٢ ـ قصة إسلام عمر :

يروي التاريخ أن هذه الآيات نزلت بعد إسلام عمر ، ولإسلام عمر قصة محبوكة الحلقات فيها متعة، وفيها طرافة ، ولكن لها روايات كثيرة وطرقاً مختلفة نجتزىء منها برواية عطاء ومجاهد التي نقلها ابن اسحق عبد الله بن أبي نجيح وهي تذكر أن عمر قال : كنت للإسلام متباعداً ، وكنت صاحب خمر في الجاهلية أصبها وأشربها وكان

لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش ، فخرجت أريد جلسائي أولئك فلم أجد منهم أحداً فقلت لو أنني جئت فلاناً الخمار، فجئته فلم أجده، قلت لو أنني جئت الكعبة فطفت بها سبعاً أو سبعين ، فجئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة فإذا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قائم يصلي وكان إذا صلى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبين الشام واتخذ مكانه بين الركنين : الركن الأسود والركن اليماني ، فقلت حين رأيته والله لو أني استمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول وقام بنفسي أنني لو دنوت منه أسمع لأروعنه فجئت من قبل الحجر ، فلما سمعت القرآن رقّ قلبي فبكيت ودخلني الإسلام. ولما أسلم عمر شقّ ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم فأتوا أبا طالب فقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء ، يريدون الذين دخلوا في الإسلام ، وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك ، فأحضره وقال له : يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السواء والانصاف فلا تمل كلّ الميل على قومك فقال النبي : ماذا تسألونني ؟ فقالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك فقال : أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم أمعطيّ أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم العجم قالوا : نعم وعشر أمثالها فقال : قولوا لا إله إلا الله ، فقاموا وانطلق الملأ منهم . وقد تبين بذلك العطف الذي ألمعنا إليه في اعراب وانطلق الملأ منهم إلخ ...

٣ ـ نص عبارة أبي البقاء :

وعدناك بنقل نص عبارة أبي البقاء في إعراب قوله « جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب » قال : « جند مبتدأ وما زائدة

وهنالك نعت ومهزوم الخبر ويجوز أن يكون هنالك ظرفاً لمهزوم ومن الأحزاب يجوز أن يكون نعتاً لجند وأن يتعلق بمهزوم وأن يكون نعتاً لمهزوم » .

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَـٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾

اللغة :

(الأوتاد) : في المصباح : « الوتد بكسر التاء في لغة الحجاز وهي الفصحى وجمعه أوتاد وفتح التاء لغة وأهل نجد يسكنون التاء فيدغمون بعد القلب فيبقى ود ووتدت الوتد أتده وتداً من باب وعد أثبته بحائط أو بالأرض وأوتدته بالألف لغة » وفي الأساس : « ضرب الوتد والودّ والأوتاد بالميتدة ويقال : تدْ وتدك وأوتده وانتصب كأنه وتد وهو « أذل من وتد » ووتد واتد : ثابت ومن المجاز : وتد الله الأرض بالجبال وأوتدها ووتّدها والجبال أوتاد الأرض وقيل لأعرابي : ما النطشان ؟ فقال : يوتد العطشان وروي : شيء تتد به كلامنا » وفي القاموس : « الوتد بالفتح والتحريك وككتف مارز في الأرض أو الحائط من خشب وما كان في العروض على ثلاثة أحرف

كعلى والهنيّة الناشزة في مقدّم الأذن والجمع أوتاد ووتد واتد تأكيد وأوتاد الأرض جبالها ومن البلاد رؤساؤها ومن الفم أسنانه ».

(الأيكة) : الغيضة والأشجار الملتفة المجتمعة وقد تقدم القول فيها مبسوطاً .

(فواق) : بفتح الفاء وضمها أي رجوع وقد قرئ بهما معاً فقيل هما نعتان بمعنى واحد وهو الزمان الذي بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع والمعنى مالها من توقف قدر فواق ناقة وفي الحديث: « العيادة قدر فواق ناقة » وفي المختار : « الفواق الزمن الذي بين الحلبتين لأنها تحلب ثم تترك ساعة يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب ، يقال : ما أقام عنده إلا فواقاً وفي الحديث: « العيادة قدر فواق ناقه » وقوله تعالى : من فواق يقرأ بالفتح أي مالها من نظرة وراحة وإفاقة » وعبارة الزمخشري في الكشاف : « مالها من فواق وقرئ بالضم مالها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع يعني إذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان كقوله تعالى : فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ، وعن ابن عباس : ما لها من رجوع وترداد من أفاق المريض إذا رجع الى الصحة وفواق الناقة ساعة ترجع الدرّ الى ضرعها يريد أنها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولاتردد » ولهذه المادة خصائص عجيبة ، أنها تتوزع على أنحاء شتى من المعاني وها نحن أولاء نقل لك خلاصة ماورد في اللسان والأساس منها : « ما بقي في كنانتي إلا سهم أفوق وهو الذي في إحدى زَنَمتيه كسر أو ميل، وفوّق السهم : جعل الوتر في فُوقه عند الرمي، وتقول : لا زالت للخير موفقاً ، وسهمك في الكرم مفوّقاً ، وفوّقه : جعل له فُوقاً ، وفاقه كسر فوقه ، وفاق قومه : فضلهم ، ورجل فائق

في العلم وهو يتفوق على قومه وفوقته عليهم : افضلته ، وأفاق فلان من المرض واستفاق وفلان مدمن لا يستفيق من الشراب ، وتفوّق الفصيل أمه رضعها فُواقاً فواقاً ، وفوّقه الراعي . ومن المجاز تفوقت الماء : شربته شيئاً بعد شيء ، وتفوّقت مالي : أنفقته على مهل ، قال :

تفوّقت مالي من طريف وتالـــد

تفوّقي الصهبـــاء من حلب الكرم

وتفوقت وِردي : أخذته قليلاً قليلاً وأتيته فيقَةَ الضحى وميعته ، وخرجنا بعد أفاويق من الليل ، ومجت السحابة أفاويقها وأرضعني أفاويق بره ، وفوّقني الأماني وما أقام عنده إلا فواق ناقة وفيقة ناقة . ولعل في هذا غنية .

الاعراب :

(كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد) كلام مستأنف مسوق لتقرير أحوال الطغاة وبيان مصائر العتاة . وكذبت فعل ماض وقبلهم ظرف متعلق بكذبت وقوم نوح فاعل وعاد عطف على قوم نوح وفرعون عطف أيضاً وذو الأوتاد أي ذو الملك الثابت وسيأتي ذكر استعارة الأوتاد في باب البلاغة . (وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب) عطف أيضاً وأولئك الأحزاب لك أن تجعل اسم الإشارة بدلاً مما قبله والأحزاب بدل منه وإما أن تجعلها بجملة مستقلة مؤلفة من مبتدأ هو اسم الإشارة والأحزاب خبره . (إن كلّ إلا كذب الرسل فحقّ عقاب) إن نافية لا عمل لها لانتقاض النفي بإلا وكل مبتدأ وإلا أداة حصر وجملة كذب الرسل خبر كل ، فحق

الفاء حرف عطف وحق فعل ماض وعقاب فاعله مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة عـلى ما قبل ياء المتكلم المحـذوفة لمراعاة الفواصل . (وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فواق) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لتقرير عقاب كفار مكة بعد بيان عقاب من سبقوهم في الغواية . وما نافية وينظر فعل مضارع أي ينتظر وهؤلاء اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع فاعل وإلا أداة حصر وصيحة مفعول به وواحـدة صفة لها وما نافية حجازية أو تميمية ولها خبر مقدم ومن حرف جر زائد وفواق اسم مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه اسم ما أو مبتدأ مؤخر .

البلاغـة :

في قوله « ذو الأوتاد » استعارة تصريحية أي ذو الملك الثابت الموطّد وأصله من ثبات البيت المطنب بأوتاده ، قال الرفادة الأودي :

البيـــت لا يبتني إلا عـــلى عمـــد
ولا عمـــاد إذا لـــم ترس أوتـــاد

يقول : لا ينال الأمر إلا بتوفر أسبابه ، شبه توقف الأمر على أسبابه وتوقف أسبابه على أسبابه بتوقف ضرب الخيمة على انتصاب الأعمدة وتوقف انتصابها على اثبات الاوتاد المشدودة بالحبال وبعده :

فإن تجمـــع أسباب وأعمـــدة
وساكن بلغـــوا الأمر الـــذي كادوا

ثم قال: فإن اجتمعت الحبال المشدودة بالأوتاد الثابتة وانتصبت الأعمدة ووجد الساكن بلغ مراده وهو بمعنى الجمع فصح جمع ضميره ومعنى كادوا عالجوا يقال كاده كيداً اي عالجه علاجاً والمعنى بلغوا الأمر الذي كادوه أي عالجوه لتحصيله • وقال الاسود ابن يعفر :

ماذا أومل بعد آل محرق   تركوا منازلهم وبعد إياد
جرت الرياح على مقر ديارهم   فكأنهم كانوا على ميعاد
ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة   في ظل ملك ثابت الأوتاد
فإذا النعيم وكل ما يلهى به   يوماً يصير الى بلى ونفاد

يقول : لا أتمنى بعدهم شيئاً من الدنيا • ومحرق هو امرؤ القيس بن عمرو بن عدي اللخمي والإياد في الأصل تراب يجمع حول الحوض والبيت يحفظه من المطر والسيول من الأيد أي القوة أو هو ما أيد به الشيء مطلقاً والكنف والجبل الحصين وإياد الجيش جناحاه أي ميمنته وميسرته والأيّد : القوي ، وإياد هنا علم على ابن نزار ابن معد بن عدنان فهو أخو مضر وربيعة وأراد به في البيت القبيلة وروي وآل إياد عطفا على آل محرق وغني بالمكان كرضي : أقام به والبلى : الانمحاق ، والنفاد : الفناء ؛ يقول : تركوا منازلهم وهي جملة مسأنفة لبيان نفي التأميل أو اعتراضية بين المتعاطفين وجملة : جرت الرياح مستأنفة مسوقة لبيان حال القبيلتين يقول : تفانوا فجرت الرياح على محل ديارهم وجريان الرياح على مقر الديار لانهدام الجدران التي كانت تمنع الرياح وذلك كناية عن موتهم وأشار الى أن فناءهم كان سريعاً كأنه دفعة واحدة بقوله : فكأنهم كانوا على ميعاد واحد ولقد

أقاموا ردحاً من الزمن بأرغد عيش وشبه الملك الذي به عزهم وصولتهم بخيمة مضروبة عليهم والظـل ترشيح والأوتاد تخييل وإذا فجائية أي فظهر بغتة أن كل نعيم لا محال زائل .

هذا وقيل لا استعارة في الآية وأن فرعون كان يتد لكـل من يغضب عليه أربعة أوتاد يشد إليهـا يديه ورجليه ويعذبه حتى يموت والأول أولى وأبلغ .

وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾

اللغـــة :

(قِطّنا) : نصيبنا وحظنا من العذاب وأصله من قطّ الشيء أي قطعه ومنه قط القلم قالوا ذلك استهزاء أي عجل لنا قطعـة مما وعدتنا به ويطلق على الصحيفة والصك قط لأنهما قطعتان وقيل للجائزة قط لأنها قطعة من العطية ويجمع على قطوط مثل حمل وحمول وعلى قططة مثل قرد وقردة وقرود وفي القلة عـلى أقططة مثل قدح وأقدحة وأقداح وفي القاموس : « القط : القطع عامة أو عرضاً أو قطع شيء صلب كالحقة كالاقتطاط والقصير الجعد من الشعر كالقطط محركة

وقد قطط كفرح وقد قطّ يقط كيمل قططاً محركة وقطاطة، والقطّاط : الخراط صانع الحقق » إلى أن يقـول : « والقط بالكسـر النصيب والصك وكتـاب المحاسبة وجمعـه قطوط والسنور وجمعـه قطاط وقططه والساعة من الليل» وقال أبو عبيدة والكسائي : القط : الكتاب بالجوائز ، وقال الأعشى :

ولا الملك النعمـان يوم لقيته بغبطتـه يعطي القطوط ويأفق

الاعراب :

(وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب) كلام مستأنف مسوق لسرد أنماط من تمحلهم واستهزائهم بعد أن نزل قوله تعالى : « فأما من أوتي كتابه بيمينه » الآية وقالوا فعل وفاعـل وربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء وعجّل لنا فعل أمر ولنا متعلقان به وفاعله مستتر وجوباً تقديره أنت وقطنا مفعول به وقبل يوم الحساب ظرف متعلق بعجل أيضاً أو بمحذوف حال • (اصبر عـلى ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب) اصبر فعـل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وعلى ما يقولون متعلقان باصبر وجملة يقولون صلة والعائد محذوف أي يقولونه واذكر عطف على اصبر أي تأسّ بقصة داود ومنّ نفسك عن إهمال أمر مصابرتهم وتحمل أذاهم لئلا يستهدف لما استهدف له وعبدنا مفعول به وداود بدل وذا الأيد نعت لداود أي صاحب القوة وقد تقدم شرح الأيد وجملة إنه أواب تعليل لكونه من أصحاب الأيد أي راجع الى مرضاة الله وان واسمها وخبرها •

(إنا سخرنا الجبال معه يسبّحن بالعشي والإشراق) إن واسمها وجملة سخرنا الجبال من الفعـل والفاعـل والمفعول خبر إنا وجملة

يسبحن حالية من الجبال وسيأتي سر العدول عن مسبحات إلى يسبحن في باب البلاغة وبالعشي متعلقان بيسبحن والإشراق عطف على بالعشي أي غدوة وعشية وسيأتي حديث ابن عباس عن العشي والإشراق في باب البلاغة أيضاً . (والطير محشورة كل له أواب) والطير عطف على الجبال أو مفعول به لفعل محذوف دل عليه ما قبله أي وسخرنا الطير ومحشورة حال أي مجموعة تسبح له وكل مبتدأ وساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم أي كل من الجبال والطير وله جار ومجرور متعلقان بأواب وأواب خبر كل أي رجاع مبالغة آيب أي راجع له بالتسبيح . (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) وشددنا ملكه فعل وفاعل ومفعول به أي قويناه بالجنود والحرس وآتيناه فعل وفاعل ومفعول به أول والحكمة مفعول به ثان وفصل الخطاب عطف على الحكمة وسيأتي معنى فصل الخطاب في باب البلاغة .

البلاغة :

انطوت في هذه الآيات فنون متعددة تبهر السامعين وإليك التفصيل .

١ ـ العدول عن الاسمية الى الفعلية :

في قوله « يسبحن » عدول عن الاسم الى الفعل ، والنكتة فيه الدلالة على التجدد والحدوث شيئاً بعد شيء وحالاً بعد حال وكأن السامع حاضر تلك الحال يسمع تسبيحها ومثله قول الأعشى :

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة

إلى ضوء باليفاع تحرق

ولو قال محرقة لم يكن له ذلك الوقع .

٢ ـ الطباق :

وفي قوله « بالعشي والإشراق » طباق بديع بين صلاة العشاء وصلاة الضحى ، وروي عن ابن عباس انه قال : كنت أمرّ بهذه الآية : بالعشي والإشراق ولا أدري ما هي حتى حدثتني أم هانىء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلاة الضحى وقال : يا أم هانىء هذه صلاة الإشراق ، وعن طاوس عن ابن عباس أيضاً : قال هل تجدون ذكر الضحى في القرآن ؟ قالوا : لا ، فقرأ : إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق ، وعنه أيضاً : ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية .

٣ ـ معنى فصل الخطاب :

الفصل التمييز بين الشيئين وقيل للكلام المبين فصل بمعنى المفعول وأصله : انهم يقولون كلام ملتبس ، وفي كلامه لبس والملتبس المختلط الذي لا يبين لتداخله أو معاظلته فقيل في نقيضه كلام فصل أي مفصول بعضه عن بعض وملخصه أن لا يخطىء مظان الوصل والفصل فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله « ويل للمصلين » إلا موصولاً بما بعده ولا « والله يعلم وأنتم » حتى يصله بقوله : « لا تعلمون » ونحو ذلك وكذلك مظان العطف وتركه والاضمار والاظهار والذكر والحذف والتكرار وغير ذلك من الفنون التي مرّ بك معظمها في هذا الكتاب ويجوز أن يكون الفصل بمعنى الفاعل أي الفاصل بين الحق والباطل وبين الصحيح والفاسد وبين السمين والغث .

* وَهَلْ أَتَاكَ نَبَؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢) إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ (٢٥)

اللغــــة :

(تسوّروا المحراب) : قصدوا سوره ونزلوا من أعلاه والسور الحائط المرتفع والمحراب سبق تفسيره والخصم : المخاصم والمنازع وقد يقع للاثنين والجمع والمؤنث فيقال هما خصم وهم خصم وهي خصم لأنه مصـدر في أصله وقد تقـدم له نظـير وهو ضيف في قولـه : « حديث ضيف ابراهيم المكرمين » .

(ولا تشطـط) ولا تجر وهو بضم التاء وسكون الشين وكسر الطاء الأولى من اشطط يشطط اشطاطاً إذا تجاوز الحد، قال أبو عبيدة :

شططت في الحكم وأشططت فيه إذا جُرت فهو مما اتفق فيه فعل وأفعل .

(سواء الصراط) : وسط الطريق الصواب ومحجته .

(أكفلنيها) : اجعلني كافلها والمراد ملكنيها وفي المختار : « كفل عنه بالمال لغريمه وأكفله المال ضمنه إياه وكفله إياه بالتخفيف فكفل هو من باب نصر ودخل وكفله إياه تكفيلاً مثله » .

(وعزني) : وغلبني في الجدال وأتى بحجاج لا أقدر على رده وفي المختار « وعز عليه غلبه وبابه رد وفي المثل «من عزبز» أي من غلب سلب والاسم العزة وهي القوة والغلبة وعزه في الخطاب وعازّه أي غلبه » وقال مجنون ليلى :

قطاة عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح

وقبله :

كأن القلب ليلة قيل يغدى بليلى العامرية أو يراح

شبه قلبه حين سمع برحيلها بحمامة أمسك الشرك جناحها في كثرة الخفقان .

(الخلطاء) : الشركاء الذين خلطوا أموالهم الواحد خليط . هذا وقد أوردت معاجم اللغة للخليط عدة معان منها المخالط والمشارك والقوم الذين أمرهم واحد والزوج والجار والصاحب وخليط الرجل مخالطه كالجليس المجالس .

الاعراب :

(وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب) كلام مستأنف مسوق لإيراد قصة داود، وهل حرف استفهام معناه التعجب والتشويق الى استماع ما يرد بعده كما تقول لمن تخاطبه : هل تعلم ما وقع اليوم ثم تذكر له ما وقع ، وأتاك نبأ الخصم فعل ماض ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر وإذ ظرف لمضاف محذوف أي نبأ تخاصم الخصم إذ تسوروا وعبارة الزمخشري : « فإن قلت بم انتصب إذ ؟ قلت لا يخلو إما أن ينتصب بأتاك أو بالنبأ أو بمحذوف ، فلا يسوغ انتصابه بأتاك لأن إتيان النبأ رسول الله لا يقع إلا في عهده لا في عهد داود ولا بالنبأ لأن النبأ واقع في عهد داود فلا يصح اتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن أردت بالنبأ القصة في نفسها لم يكن ناصباً فبقي أن يكون منصوباً بمحذوف وتقديره وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم إذ ويجوز أن ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل » وجملة تسوروا مضاف اليها الظرف وتسوروا فعل ماض وفاعل والمحراب مفعول به •

(إذ دخلوا على داود ففزع منهم) إذ بدل من إذا الأولى وجملة دخلوا في محل جر بإضافة الظرف إليها وعلى داود متعلقان بدخلوا والفاء عاطفة وفزع فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو ومنهم متعلقان بفزع • (قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض) الجملة مستأنفة مسوقة للرد على سؤال نشأ من حكاية فزعه كأنه قيل فماذا قالوا لما شاهدوا أمارات الفزع مرتسمة على وجهه فقال قالوا، ولا ناهية وتخف فعل مضارع مجزوم بلا وفاعله مستتر تقديره أنت وخصمان خبر لمبتدأ محذوف أي نحن خصمان وجملة بغى صفة لخصمان وبعضنا فاعل

وعلى بعض متعلقان ببغى • (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط) الفاء الفصيحة واحكم فعل أمر وفاعله مستتر وبيننا ظرف متعلق باحكم وبالحق حال أو متعلقان باحكم أيضاً ولا تشطط عطف على احكم واهد فعل أمر مبني علـى حذف حرف العلة وفاعله مستتر تقديره أنت ونا مفعول به والى سواء الصراط متعلقان باهدنا • (إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة) إن واسمها وأخي بدل من هـذا أو خبر إن وله خبر مقـدم وتسع مبتدأ مؤخر والجملة خبر إن أو خبر ثان وتسعون عطف على تسع ونعجة تمييز ولي خبر مقـدم ونعجة مبتدأ مؤخر وواحدة نعت وسيأتي حديث الكناية بالنعجة في باب البلاغة •

(فقال اكفلنيها وعزني في الخطاب) الفاء عاطفة وقال فعل ماض وجملة اكفلنيها من الفعـل والفاعـل المستتر والمفعولين مقول القول وعزني عطف على فقال وفي الخطاب متعلقان بعزني • (قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجـه) اللام جواب قسم محـذوف وقد حرف تحقيق وظلمك فعل وفاعـل مستتر والكاف مفعول به وبسؤال جار ومجرور متعلقان بظلمك ونعجتك مضاف اليه من إضافة المصدر الى مفعوله والفاعل محذوف أي بأن سألك نعجتك والى نعاجـه متعلقان بمحذوف تقديره ليضمها • (وان كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض) الواو عاطفة ويجوز أن تكون حالية وإن واسمها ومن الخلطاء نعت لكثيراً واللام المزحلقة ويبغي بعضهم فعـل مضارع وفاعل وعلى بعض متعلقان بيبغي • (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليـل ما هم) إلا أداة استثناء والذين مستثنى متصـل وجملة آمنوا صلة وعملوا عطف عـلى آمنوا والصالحات مفعول به والواو حالية وقليل خبر مقدم وما زائدة لتأكيد القلة وهم مبتدأ مؤخر •

(وظن داود انما فتنّاه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب) عطف على محذوف أي قال الملكان قضى الرجل على نفسه فتنبه • وظن داود فعل وفاعل وانما كافة ومكفوفة وهي مع مدخولها سدت مسد مفعولي وفتناه فعل ماض وفاعل ومفعول به ، فاستغفر عطف على وظن وربه مفعول به وخر عطف أيضاً والفاعل مستتر تقديره هو وراكعاً حال وأناب عطف أيضاً• (فغفرنا له ذلك وان له عندنا الزلفى وحسن مآب) عطف أيضاً وغفرنا فعل وفاعل وله متعلقان بغفرنا وذلك مفعول به أي ذلك الذنب ، وان الواو عاطفة وأن حرف مشبه بالفعل وله خبر مقدم وعندنا ظرف متعلق بمحذوف في محل نصب على الحال واللام المزحلقة وزلفى اسم إن وحسن مآب عطف على زلفى •

البلاغة :

في قوله «إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة» الآية كناية عن المرأة فقد كانوا يكنون عن المرأة بالنعجة والشاة في نحو قول عنترة :

يا شاة ما قنص لمن حلت له حرمت علي وليتها لم تحرم

وإنما ذكر امرأة أبيه وكان يهواها وقيل بل كانت جاريته فلذلك حرمها على نفسه وهذه الكناية تتمشى مع القول بأن القصة جارية مجرى التمثيل ، وسنورد خلاصتها مع القصة الخرافية الموضوعة تحريراً للأذهان من الأساطير التي تتنافى مع طهارة الأنبياء ونزاهتهم •

القصة كما يرويها المفسرون :

كان أهل زمان داود يسأل بعضهم بعضاً النزول له عن امرأته

إذا أعجبته فيتزوجها ، وقد روي مثله عن الأنصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فوقعت عين دلود على امرأة أوريا فأعجبته فسأله إيثاره بها ليتزوجها فاستحيا منه فنزل عنها فتزوجها وأولدها سليمان فقيل له مع كثرة نسائك لم يكن لك أن تسأل رجلاً ليس له إلا امرأة واحدة النزول عنها وكان الأفضل قهر الهوى ، وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فرغب إليه أهلها فاندرج في الخاطب على خطبة أخيه .

وأما ما يذكر من أن داود تمنى منزلة آبائه فقيل له أنهم ابتلوا فصبروا فسأل الابتلاء ليصبر فقيل له انك تبتلى يوم كذا فاحترس ذلك اليوم وأغلق عليه محرابه فتمثل له الشيطان في صورة حمامة ذهب فمد يده ليأخذها لابن صغير له فطارت فتبعها فرأى امرأة جميلة قد نقضت شعرها فكتب الى أيوب بن حوريا صاحب بعث البلقاء أن ابعث أوريا وقدمه على التابوت وكان المتقدم يحرم عليه الرجوع حتى يفتح الله على يده أو يستشهد فقدم فسلم فأمر بتقديمه مرة أخرى وثالثة فقتل فلم يحزن عليه كما يحزن على الشهداء وتزوج امرأته المذكورة فهذه الرواية مما يقبح الحديث به عن متسم بصلاح من آحاد المسلمين فضلاً عن بعض أعلام الأنبياء .

وعن سعيد بن المسيب أن علي بن أبي طالب قال : من حدثكم بقصة داود كما يرويها القصاص جلدته مائة وستين حدّ الفرية مضاعفاً .

وروي أن عمر بن عبد العزيز حدثه رجل بذلك بحضرة عالم محقق فكذب الحديث وقال : إن كانت القصة على مافي كتاب الله فالتماس خلافها فرية وإن كانت على ما ذكرت وكف الله عنها ستراً لنبيه فما ينبغي لك إظهار ما ستره الله فقال عمر بن عبد العزيز : استماعي الى هذا الكلام أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس .

قال الزمخشري : والذي يدل عليه المثـل الذي ضربه الله أن قصته ليست إلا طلبـه الى زوج المرأة أن ينزل له عنهـا فقط ثم نبـه الزمخشري عـلى مجيء الإنكار عـلى طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح وذلك أن التعريض داع الى التأمل والتنبيه الى وجه الخطأ مع ما فيه من اجتناب المجاهرة في الانكار والتوبيـخ وإلقـاء بطريق التمثيل ليستقبح ذلك من غيره فيجعله مقياساً لاستقباح ذلك من نفسه مع البقاء عـلى الحشمة كما أوصى بذلك في سياسة الوالد لولده إذا حصلت منه هنة منكرة قـال : وجاء ذلك على وجه التحاكم ليحكم بقوله لقد ظلمك فتقوم الحجة عليه محكمة .

وقال : وقوله وهل أتاك جاء على وجه الاستفهام تنبيهاً على أن هذه القصة قصة عجيبة من حقها أن تشيع ولا تخفى على أحد وتشويقاً الى سماعها أيضاً .

وقال في الخطاب يحتمل أن يكون من المخاطبة ومعناه أتاني بما لم أقدر على ردّه من الجدال ويحتمل أن يكون من الخطبة مفاعلة أي خطبت فخطب على خطبتي فغلبني والمفاعلة لأن الخطبة صـدرت عنهما جميعاً .

وقال في ذكر النعاج إنها تمثيل فكان تحاكمهم تمثيلاً وكلامهم أيضاً تمثيلاً لأنه أبلغ لما تقـدم وللتنبيه على أن هذا أمر يستحيا من التصريح وأنه مما يكنى عنه لسماجة الإفصاح به وللستر عـلى داود عليه السلام ووجه التمثيل فيه أن مثلت قصة أوريا برجل له نعجـة ولخليطه تسع وتسعون فأراد أن يتمها مائة بالنعجة المذكورة فإن قلت طريقة التمثيل إنما تستعمل على جعل الخطاب من الخطابة فإن كان من الخطبة فما وجهه ؟ قال الوجه حينئذ أن تجعل النعجة استعارة للمرأة

كما استعاروا لها الشاة في قولـه : يا شاة ما قنص لمن حلت له ... البيت ... قال : والفرق بين التمثيل والاستعارة انه على التمثيل يكون الذي سبق الى فهـم داود عليه السلام أن التحاكم عـلى ظاهره وهو التخاصم في النعاج التي هي البهائم ثم انتقل بواسطة التنبيه الى فهم انه تمثيل لحاله وعـلى الاستعارة يكون فهم عنهما التحاكم في النساء المعبر عنهن بالنعاج كناية ثم استشعر أنه المراد بذلك .

قلت : ونقل بعضهم أن هذه القصة لم تكن من الملائكة وليست تمثيـلاً وإنما كانت من البشر إما خليطـين في الغنم حقيقة وإما كان أحدهما موسراً وله نسوان كثيرة من المهائر والسراري والثاني معسر وما له إلا امرأة واحدة فاستنزله عنها وفزع داود وخوفه أن يكونا مغتالين لأنهما دخلا عليه في غير وقت القضاء وما كان ذنب داود إلا أنه صدق أحدهما على الآخر ونسبه الى الظلم قبل مسألته .

قلت : إنّما قصد هذا القائل بما قال تنزيه داود عن ذنب يبعثه عليه شهوة النساء فأخذ الآية على ظاهرها وصرف الذنب الى العجلة في نسبة الظلم الى المدعى عليه لأن الباعث عـلى ذلك في الغالب إنما هو التهاب الغضب وكراهيته أخف مما يكون عليه الباعث عليه الشهوة والهوى ولعل هذا القائل يؤكد رأيه في الآية بقوله تعالى عقبها وصية لداود عليه السلام : « يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى » فما جرت العناية بتوصيته فيما يتعلق بالأحكام إلا والذي صدر منه أولاً وبان منه من قبيل ما وقع له في الحكم بين الناس .

وعبارة أبي حيان : « والظاهر ابقاء لفظ النعجة على حقيقتها من كونها أنثى الضأن ولا يكنى بها عن المرأة ولا ضرورة تدعو الى ذلك

لأن ذلك الإخبار كان صادراً من الملائكة على سبيل التصوير للمسألة فمثلوا بقصة رجل له نعجة ولخليطه تسع وتسعون فأراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجة خليطه وأراد انتزاعها منه وحاجّه في ذلك محاجّة حريص على بلوغ مراده ويدل على ذلك قوله : وان كثيراً من الخلطاء ، وهذا التصوير والتمثيل أبلغ في المقصود وأدل على المراد » الى أن يقول : « وما حكى القصاص مما فيه غض من منصب النبوة طرحناه ونحن كما قال الشاعر :

وتؤثر حكم العقل في كل شبهة

إذا آثر الاخبار جلاس قصاص

يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢٩﴾

الاعراب :

(يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض) كلام مستأنف مسوق لحكاية ما خوطب به داود بعد ما تقدم ، ولك أن تقدر قولاً محذوفاً معطوفاً على قوله غفرنا أو حال من فاعل غفرنا أي وقلنا أو قائلين ، ويا حرف نداء وداود منادى مفرد علم مبني على الضم وإن واسمها وجملة جعلناك خبرها وجعلناك فعل ماض وفاعل ومفعول به أول وخليفة مفعول جعلنا الثاني وفي الأرض نعت لخليفة • (فاحكم بين الناس بالحق) الفاء الفصيحة واحكم فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وبين الناس متعلقان بقوله فاحكم وبالحق حال • (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) الواو عاطفة ولا ناهية وتتبع فعل مضارع مجزوم بلا وفاعله مستتر تقديره أنت والهوى مفعول به والفاء هي فاء السببية لوقوعها في جواب النهي ويضلك فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية والفاعل مستتر تقديره هو يعود على الهوى والكاف مفعول به وعن سبيل الله متعلقان بيضلك ولا مانع من جعل الفاء عاطفة ويضلك معطوف على تتبع •

(إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) الجملة تعليلية للنهي عن اتباع الهوى وان واسمها وجملة يضلون صلة الذين وعن سبيل الله متعلقان بيضلون ولهم خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر إن وشديد نعت لعذاب والباء حرف جر وما مصدرية مؤولة مع بعدها بمصدر مجرور بالباء والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أي بسبب نسيانهم ويوم الحساب مفعول به لنسوا أو ظرف لقوله لهم عذاب شديد أو صفة ثانية له أي لهم عذاب شديد كائن في يوم القيامة بسبب نسيانهم •

(وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً) كلام مستأنف مسوق لتقرير مضمون ما تقدم من أمر البعث والحساب والجزاء • وما نافية وخلقنا فعل وفاعل والسماء مفعول به والأرض عطف على السماء وما بينهما عطف أيضاً والظرف متعلق بمحذوف صلة ما وباطلاً نعت لمصدر محذوف أي خلقاً باطلاً ويجوز أن يكون حالاً من فاعل خلقنا أي مبطلين أو ذوي باطل •

(ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار) ذلك اسم الاشارة مبتدأ أي خلقها باطلاً وظن خبره والذين مضاف اليه وجملة كفروا صلة ، فويل : الفاء عاطفة لترتيب ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل ، وويل مبتدأ وللذين كفروا خبره وجملة كفروا صلة ومن النار صفة لويل • وفي وضع الموصول موضع ضمير هم اشعار بأنهم استحقوا النار بكفرهم • (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض) أم عاطفة منقطعة وفيها معنى الاستفهام الإنكاري ونجعل فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن والذين آمنوا مفعول نجعل الأول وآمنوا صلة وعملوا الصالحات عطف على آمنوا والكاف اسم بمعنى مثل في محل نصب مفعول به ثان لنجعل وفي الأرض متعلقان بالمفسدين • (أم نجعل المتقين كالفجار) عطف على ما تقدم وفي الإنكار إبطال لما يدعونه من أن الجزاء غير وارد لأنه لو صح كلامهم لاستوت عند الله حال من أصلح أو أفسد ومن اتقى أو فجر •

(كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب) كتاب خبر لمبتدأ محذوف أي هذا كتاب وجملة أنزلناه صفة واليك جار

ومجرور متعلقان بأنزلناه ومبارك نعت ثان ومنعه بعضهم بحجة أن النعت غير الصريح لا يتقدم على النعت الصريح فهو عندهم خبر ثان أو خبر مبتدأ محذوف ، وقرىء مباركاً بالنصب على الحال اللازمة ، وليدبروا اللام لام التعليل ويدبروا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والواو فاعل والجار والمجرور متعلقان بأنزلناه وآياته مفعول به أي ليتفكروا فيها وليذكر عطف على ليدبروا وأولوا الألباب فاعل .

وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾

اللغـــة :

(الصافنات) : جمع صافنة وهي القائمة على ثلاث وإقامة الأخرى على طرف الحافر من رجـل أو يد وفي المختار : « الصافن من الخيل القائم على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر وقد صفن الفرس من باب جلس والصافن من الناس الذي يصف قدميه وجمعه صفون » وعبارة الزمخشري « الصفون لا يكاد يكون في الهجن وإنما هو في العراب الخلّص وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع ما بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني إذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة في مواقفها وإذا جرت كانت سراعاً خفافاً في جريها » .

(الجياد) جمع جواد وهو السابق وقيل جمع جيد ، وفي أدب الكاتب لابن قتيبة « ويقال للفرس عتيق وجواد وكريم ويقال للبرذون والبغـل والحمار فاره والسوابق من الخيل أولها السابق ثم المصلي وذلك لأن رأسه عند صلا السابق ثم الثالث والرابع كذلك الى التاسع والعاشر السُكيت ويقال أيضاً السُكّيت مشدداً فما جاء بعد ذلك لم يعتد به والفِسكل الذي يجيء في الحلبة آخر الخيل » هذا ما أورده ابن قتيبة وقد سموا الثالث المتلى لأنه يتلى الثاني وسموا الرابع التالي وسموا الخامس المرتاح وسموا السادس العـاطف وسموا السابـع المؤمل وسموا الثامن الحظي وسموا التاسع اللطيم .

(مسحاً) : المسح : القطع وفي المختار «ومسحه بالسيف قطعه»

(بالسوق) : جمع ساق ومن غريب أمر الساق أن له العديد من المعاني فأولها وهو المراد هنا أنه ما بين الكعب والركبة مؤنث وجمعه

سوق وسيقان وأسوق وساق الشجرة جـذعها ، ومن معانيـه ساق الحمام والغراب نباتان وساق حر ذكر القماري ويقال كشف الأمر عن ساقه أي اشتدّ وعظم وقامت الحرب على ساق أي اشتدت وولدت المرأة ثلاثة بنين على ساق واحدة أي بعضهم في إثر بعض لا جارية بينهم والحديث في هذه المادة يطول فنحيل القارىء الى المعاجم •

(رخاء) : لينة طيبة لا تزعزع •

(أصاب) : أراد وقصد وفي الكشاف « حكى الأصمعي عن العرب : أصاب الصواب ، فأخطأ الجواب • وعن رؤبة أن رجلـين من أهل اللغة قصداه ليسألاه عن هذه الكلمة فخرج إليهما فقال : أين تصيبان ؟ فقالا : هذه طلبتنا ورجعا ويقال أصاب الله بك خيراً » وفي الأساس : « وأصاب الله تعالى بك خيراً : أراده رخاء حيث أصاب » •

(الأصفاد) : الأغلال وفي القاموس « صفده يصفده من باب ضرب يصفده : شده وأوثقه كأصفده وصفّده والصفد محركة العطاء والوثاق وبلا لام بلد بالشام وككتاب ما يوثق به الأسير من قد أو قيد والأصفاد : القيود » فلا معنى لقول بعض المفسرين رداً على الجلال الذي فسر الأصفاد بالقيود إذ قال ذلك المفسر : « من المعلوم أن القيد يكون في الرجل فلا يلتئم هذا التفسير مع قوله يجمع أيديهم الخ فلو فسر الأصفاد بالأغلال لكان أوضح » • وفي المختار : « صفده شده وأوثقه من باب ضرب وكذا صفده تصفيداً والصفد بفتحتين والصفاد بالكسر ما يوثق به الأسير من قد وقيد وغل والأصفاد القيود واحدها صفد » •

الاعراب :

(ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لبسط قصة سليمان بعد أن بسط قصة داود ووهبنا فعل ماض وفاعل ولداود متعلقان بوهبنا وسليمان مفعول ونعم فعل ماض جامد لإنشاء المدح والعبد فاعله والمخصوص بالمدح محذوف لتقدم ذكره أي هو وإنه أواب إن واسمها وخبرها والجملة تعليل للمدح على كونه ممدوحاً بكونه أواباً رجاعاً إليه بالتوبة أو مسبحاً مؤوباً للتسبيح مرجعاً له لأن كل مؤوب أواب • (إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد) إذ : يجوز أن يكون ظرفاً لأواب وأن يكون العامل فيه نعم وأن يكون منصوباً بمقدر أي اذكر يا محمد وقت وقوع هذه القصة وجملة عرض في محل جر بإضافة الظرف إليها وعليه متعلقان بعرض وبالعشي متعلقان بمحذوف حال أي كائناً في ذلك الوقت والصافنات نائب فاعل والجياد نعت والأولى أن يكون المفعول محذوفاً أي الخيل والصافنات الجياد صفتين للخيل والظاهر أن العرض قد استهواه ، وخيل إليه أنه يستطيع الاعتماد على هذه الخيل المطهمة في جهاده العدو إرضاء لربه فشغله حيناً من الوقت عن ذكر الله تعالى وكان به لهجاً •

(فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب) الفاء عاطفة وقال فعل ماض وفاعله مستتر وان واسمها وجملة أحببت خبرها وأحببت ليست جارية على معناها الأصيل وإنما هي متضمنة معنى فعل يتعدى بعن بمعنى آثرت وحب الخير مفعول به لذلك الفعل أو مفعول مطلق وقيل مفعول من أجله وعبارة السمين : حب الخير فيه

أوجه أحدها أنه مفعول أحببت لأنه بمعنى آثرت و « عن » على هذا بمعنى « على » والثاني أن حب مصدر على حذف الزوائد والناصب له أحببت والثالث أنه مصدر تشتهي أي حباً مثل حب الخير والرابع أنه ضمن معنى أنبت فلذلك تعدى بعن والخامس أن أحببت بمعنى لزمت والسادس أن أحببت من أحب البعير إذا سقط وبرك من الاعياء والمعنى قعدت عن ذكر ربي فيكون حب الخير على هذا مفعولاً من أجله وعن ذكر ربي متعلقان بأحببت والإضافة من إضافة المصدر الى المفعول أي عن أن أذكر ربي أو الى الفاعل أي عن أن يذكرني ربي وسيأتي المزيد من بحث هذه الآية في باب البلاغة ، وحتى حرف غاية وجر وتوارت فعل ماض وفاعله ضمير مستتر تقديره هي أي الشمس وقيل الخيل وبالحجاب متعلقان بتوارت .
(ردوها علي فطفق مسحاً بالسوق والأعناق) ردوها فعل أمر وفاعل ومفعول به والجملة مقول قول محذوف أي قال ردوها وعلي متعلقان بردوها فطفق عطف علــى محذوف أي فردوها وطفق فعل ماض من أفعال الشروع وهي تعمل عمل كان واسمها ضمير مستتر تقديره هو ومسحاً مفعول مطلق لفعــل محذوف أي يمسح مسحاً والجملة خبر طفق وبالسوق متعلقان بمسحاً والأعناق عطف على بالسوق وسيأتي قول للإمام فخر الدين الرازي طريف جداً خالف فيه جمهرة المفسرين وهو جدير بالاعتبار فانظره في باب الفوائد .

(ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب) الواو استئنافية واللام موطئة للقسم وقد حرف تحقيق وفتنا فعــل وفاعل وسليمان مفعول به وألقينا عطف على فتنا وعلى كرسيه جار ومجرور متعلقان بألقينا وجسداً مفعول به ثم أناب عطف أيضاً ولكنه بعد تراخ وسيأتي القول في فتنة سليمان ومناقشتها . (قال رب اغفر لي وهب

لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي) رب منادى مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة وهب فعل أمر للدعاء ولي متعلقان به وملكاً مفعول به وجملة لا ينبغي صفة لملكاً ولأحد متعلقان بينبغي ومن بعدي صفة لأحد • (إنك أنت الوهاب) الجملة تعليلية للدعاء بالمغفرة والهبة وان واسمها وأنت ضمير فصل أو مبتدأ والوهاب خبر إن أو خبر أنت والجملة خبر انك • (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب) الفاء عاطفة على محذوف يفهم من مضمون الكلام أي فاستجبنا له دعاءه وأعدنا له هذا الملك السليب وسخرنا فعل وفاعل وله متعلقان بسخرنا والريح مفعول به وجملة تجري بأمره في محل نصب على الحال من الريح ورخاء حال من الضمير في تجري وحيث ظرف متعلق بتجري أو بسخرنا وجملة أصاب في محل جر بإضافة الظرف اليها •

(والشياطين كل بناء وغواص) الواو حرف عطف والشياطين عطف على الريح وكل بناء بدل من الشياطين وغواص عطف على بناء • (وآخرين مقرنين في الأصفاد) وآخرين عطف على كل بناء أدخل معه في حكم البدل وهو بدل الكل من الكل ومقرنين نعت لآخرين أي قرن بعضهم مع بعض في الأصفاد • (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) الجملة مقول قول محذوف أي وقلنا له ، وهذا مبتدأ وعطاؤنا خبر فامنن الفاء الفصيحة وامنن فعل أمر أي اعط منه من شئت وأو حرف عطف للتخيير وأمسك فعل أمر معطوف على امنن وبغير حساب متعلقان بعطاؤنا أي أعطيناك بغير حساب ولا تقدير وفيه إلماع الى كثرة العطاء أو متعلقان بامنن أو أمسك ويجوز أن يكون متعلقاً بمحذوف نصباً على الحال مما تقدم أي حال كونك غير محاسب عليه لأنه يتعالى عن الحساب والضبط • (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) تقدم إعراب مثله كثيراً •

الفوائـد :

القول في هذه الآيات وفي فتنة سليمان بالخيل والجياد لا يتسع له صدر هذا الكتاب وهو خارج عن نطاقه ولكننا سنحاول الالماع الى هذه الفتنة وما قيل فيها وما نسج حولها من أكاذيب وأضاليل لفّقتها اليهودية الضالعة مع الأهواء ، وقبـل أن نشرع في ذلك ننقل فصلاً للإمام فخر الدين الرازي أطـاح بكـل الأضاليل التي لابست هذا القصص الموشى بنسج الخيال قال :

« التفسير الحق المطابق لألفـاظ القرآن أن نقـول : إن رباط الخيل كان مندوباً إليه في دينهم كما انه كذلك في ديننا ثم ان سليمان عليه السلام احتاج الى غزو فجلس وأمر باحضار الخيل وأمر باجرائها وذكر أنني لا أحبها لأجل الدنيا ونصيب النفس وإنما أحبها لأمر الله تعالى وتقوية دينه وهو المراد بقوله : عن ذكر ربي ثم انه عليه الصلاة والسلام أمر باعـدائها واجرائها حتى توارت بالحجاب أي غابت عن بصره ثم أمر برد الخيل إليه وهو قوله : ردوها علي فلما عادت طفق يمسح سوقها وأعناقها والغرض من ذلك المسح أمور : الأول تشريفها لكونها من أعظم الأعوان في دفع العدو ، الثاني أنه أراد أن يظهر أنه في ضبط السياسة والمملكة يبلغ الى أنه يباشر الأمور بنفسه ، الثالث أنه كان أعلم الناس بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها من غيره فكان يمسحها ويمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض ، فهذا التفسير الذي ذكرنا ينطبق على لفظ القرآن ولا يلزمنا شيء من تلك المنكرات والمحظورات والعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة فإن قيل : فالجمهور قد فسروا الآية بتلك الوجوه فما قولك فيه ؟ فنقول لنا هاهنا مقامان : المقـام الأول أن ندعي ان لفظ الآية

لا يدل على شيء من تلك الوجوه التي ذكروها وقد ظهر والحمد لله أن الأمر كما ذكرنا ظهوراً لا يرتاب عاقل فيه والمقام الثاني أن يقال : هب أن لفظ الآية لا يدل عليه إلا أنه كلام ذكره الناس وان الدلائل الكثيرة قد قامت على عصمة الأنبياء ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات » .

أسطورة خاتم سليمان :

هذا وما يروى عن فتنة سليمان من حديث الخاتم والشياطين وعبادة الوثن في بيت سليمان فقد أبى العلماء المحققون قبوله وقالوا انه من نسج خيال اليهود ، فقد روت الأساطير أن سليمان بلغه خبر صيدون وهذه مدينة في بعض الجزر وان بها ملكاً عظيم الشأن معتصما بالبحر لا يقدر عليه أحد فخرج اليه تحمله الريح حتى أناخ بها بجنوده من الجن والإنس فقتل ملكها وأصاب بنتاً له من أحسن الناس وجهاً فاصطفاها لنفسه وأسلمت وأحبها وكانت لا يرقأ دمعها حزناً على أبيها فأمر الشياطين فمثلوا لها صورة أبيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدن له كعادتهن إبان حياته فأخبر آصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائباً متضرعاً وكانت له أم ولد يقال لها أمينة إذا دخل عليها للطهارة وضع خاتمه عندها وكان ملكه في خاتمه فوضعه عندها يوماً وأتاها الشيطان المارد الذي دل سليمان على الماس حين أمر ببناء بيت المقدس واسمه صخر ، على صورة سليمان فقال يا أمينة خاتمي فتختم به وجلس على كرسي سليمان وعكفت عليه الطير والجن والإنس ولما أتى سليمان لطلب الخاتم أنكرته وطردته فعرف أن الخطيئة أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف فإذا قال

أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحاً عدد ما عبد الوثن في بيته فأنكر آصف وعظماء بني إسرائيل حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمان فقلن : ما يدع امرأة منّا في دمها ولا يغتسل من جنابة ، ثم طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان فبقر بطنها فإذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجداً ورجع اليه ملكه وأمر الشياطين أن يأتوه بصخر فأتوه به فأدخله في جوف صخرة وسد عليه بأخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذف في البحر الى آخر تلك الأسطورة التي تشبه مايصوره خيال شهرزاد في ألف ليلة وليلة من حكايات الجن وأساطير القماقم وغيرها وما أجمل ما يقوله القاضي عياض في هذا الصدد : « لا يصح ما نقله الإخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه » .

والذي عليه علماء الاسلام أن سبب فتنته ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كلهن تأتي بفارس مجاهد في سبيل الله تعالى فقال له صاحبه : قل إن شاء الله فلم يقل إن شاء الله فطاف عليهن جميعاً فلم تحمل منهن امرأة إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وايم الله الذي نفسي في يده لو قال : إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً » قال الزمخشري « وهذا ونحوه مما لا بأس به » بقي قوله : « وألقينا على كرسيه جسداً » ما هو ؟ ما حقيقته ؟ إن الذين يروون الأسطورة على علاتها كالجلال وغيره من أكابر العلماء يقولون : إنه الجني صخر والذين ينكرون الأسطورة يحارون في الجسد الذي ألقي

عـلى كرسيه فتارة يقولون : انه الشق الـذي ولدته المرأة قالوا : « والشق هو الجسد الذي ألقي عـلى كرسيه حين عرض عليه وهو عقوبته ومحنته لأنه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل : نسي أن يستثني كما صح في الحـديث لينفذ أمر الله ومراده فيه ، وقيل : إن المراد بالجسد الذي ألقي على كرسيه أنه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض : إن عاش له ولد لم ننفك من البلاء فسبيلنا أن نقتل ولـده أو نخبله افعلم بذلك سليمان فأمر السحاب فحمله فكان يربيه في السحاب خوفاً من الشياطين فبينما هو مشتغل في بعض مهماته إذ ألقي الولد ميتاً على كرسيه فعاتبه الله عـلى خوفه من الشياطـين حيث لم يتوكل عليـه في ذلك فتنبه لخطئه فاستغفر ربه فذلك قوله عز وجل : « وألقينا عـلى كرسيه جسداً » الخ ... » .

على أن المسألة ليست مما يمكن البت فيه أو الترجيح بالرأي وإنما هي مسائل تاريخية تضاربت فيها الأقوال والله أعلم .

المراد بالخير :

واختلف العلمـاء والمفسرون أيضاً في المراد بالخـير بقوله : «إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي» الآية فقال قوم هو المال مستدلين بقوله تعالى « إن ترك خيراً » أي مالاً وقوله « إنه لحب الخير لشديد » وقيل هو مجاز والمراد به الخيل التي شغلته وأنسته ذكر ربه أو سمى الخيل خيراً كأنها نفس الخير لتعلق الخبر بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة » وقال أيضاً في زيد الخيل حين وفد عليه وأسلم : « ما وصف لي رجل فرأيته

إلا كان دون ما بلغني إلا زيد الخيل وسماه زيد الخير » وفي القرطبي: « يعني بالخير الخيل والعرب تسميها كذلك ويعاقب بين الراء واللام فتقول انهملت العين وانهمرت وختلت وخترت ، قال الفراء : الخير في كلام العرب والخيل واحد » .

ومن الكلام البليغ الذي رمق الشعراء سماءه قوله تعالى : « هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب » فقد كان سليمان يقرن مردة الشياطين بعضهم في بعض في القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد وعن السدي كان يجمع أيديهم الى أعناقهم في الجوامع ، والصفد القيد وسمي به العطاء لأنه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول علي ابن أبي طالب : « من برّك فقد أسرك ومن جفاك فقد أطلقك » وقال أبو تمام الطائي من قصيدة يمدح بها أبا سعيد الثغري :

همي معلقة عليك رقابها مغلولة إن العطاء إسار

وتبعه أبو الطيب فقال من قصيدة يمدح بها سيف الدولة :

وقيدت نفسي في ذراك محبة ومن وجد الاحسان قيداً تقيدا

وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾

اللغـــة :

(بنصب) : النصب بضم فسكون وبفتـح فسكون وبضمتين الداء والبلاء قيل جمع نصب كأسد وأسد وقيل هو لغـة في النصب وقد تقدم كلام كثير في هذه المادة .

(ضغثاً) : حزمة من حشيش وقضبان وفي القاموس: « والضغث بالكسر قبضة حشيش مختلطـة الرطب باليابس واضطغثه : احتطبه وأضغاث أحلام رؤيا لا يصح تأويلها لاختلاطها (وقد تقـدم القول فيها) والتضغيث ما بلّ الأرض والنبات من المطر » وفي المثل « ضغث على إباله » والإبالة بالتشديد الحزمة من الحشيش والحطب ومعناه بلية على أخرى ويضرب أيضاً مثلاً للرجل يحمل صاحبه المكروه ثم يزيده منه .

الاعراب :

(واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه) عطف على اذكر عبدنا داود ولم يذكر ذلك في قصة سليمان لكمال الاتصال بين سليمان وداود كأن قصتهما قصة واحدة . واذكر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وعبدنا مفعول اذكر وأيوب بدل أو عطف بيان لعبدنا وإذ الظرف بدل اشتمال من أيوب وجملة نادى في محـل جر بإضافـة الظرف اليها والفاعـل مستتر تقـديره هو يعود عـلى داود وربه مفعول به . (أني مسني الشيطان بنصب وعذاب) أن وما في حيزها نصب بنزع الخافض أي بأني مسني الشيطان حكاية لكلامه الذي نادى ربه به بعبارته وإلا لقيل انه مسه ، ومسني الشيطان فعل ماض ومفعول به

مقدم وفاعل مؤخر وبنصب متعلقان بمسني وعذاب عطف على نصب وسيأتي سر إسناد المس الى الشيطـان مع عصمـة الأنبيـاء عن مس الشيطان إياهم وتسلطه عليهم في باب الفوائد كما يأتي فيه ما ذكر من سبب بلائه .

(اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) كلام مقول قول محذوف أي وقيل له ، واركض فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ومعنى اركض اضرب وبرجلك جار ومجرور متعلقان باركض ومفعول اركض محذوف أي الأرض وفي معاجم اللغة : « ركض الأرض والثوب ضربهما برجله » أي فهو متعد بهذا المعنى ، وهذا مبتدأ ومغتسل خبر وهو اسم مكان للماء الذي يغتسل به سمي الماء باسم مكانه مجازاً علاقته المحلية وبارد صفة لمغتسل وشراب عطف . (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب) عطف على ما تقدم مما اقتضاه المقـام كأنه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا بذلك ما به من ضر ومسحنا عنه ما ألمّ به من أوصاب . ووهبنا فعل وفاعل وله متعلقان بوهبنا وأهله مفعول به ومثلهم عطف على أهله والظرف متعلق بمحذوف حال أي كائناً معهم ورحمة مفعول من أجله ومنّا صفة لرحمة وذكرى عطف على رحمة أي ان الهبة كانت للرحمة له وللتذكير لأولي الألباب ولأولي نعت لذكرى والألباب مضاف إليه .

(وخـذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث) وخـذ عطف على ما تقدم وبيدك متعلقان بخذ وضغثاً مفعول به ، فاضرب عطف على خذ وبه متعلقان باضرب والمفعول محذوف أي امرأتك ولا تحنث عطف على اضرب ولا ناهية وتحنث فعل مضارع مجزوم بلا وسيأتي القول في ضرب امرأته في باب الفوائد (إنا وجدناه صابراً نعم العبد انه أواب)

إن واسمها وجملة وجدناه فعل وفاعل و مفعول به أول وصابراً مفعول به ثان ونعم العبد فعل وفاعل والمخصوص بالمدح محذوف للعلم به أي هو وإنه أواب إن واسمها وخبرها والجملة تعليل لمدحه •

الفوائد :

إنما أسند ما مسّه من نصب وعذاب الى الشيطان مع انه من البدائه الأولية أن الشيطان لا يسلط على الأنبياء تأدباً مع الله لأن الشيطان كان يوسوس اليه ويغريه على الكراهة والجزع ، وذكر في سبب بلاء أيوب أن رجلاً استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه وقيل أعجب بكثرة ماله ، أما قصة ضرب امرأته فقد كان حلف في مرضه ليضربن امرأته مائة إذ برأ وذلك لابطائها عليه يوماً •

وفي القرطبي : « وفي سبب حلفه أربعة أقوال :

أحدها : ما حكاه ابن عباس أن إبليس لقيها في صورة طبيب فدعته الى مداواة أيوب فقال أداويه على أنه إذا برىء يقول أنت شفيتني لا أريد جزاء سواه ، قالت نعم فأشارت على أيوب بذلك فحلف ليضربنها وقال : ويحك ذلك الشيطان •

ثانيها : ما حكاه سعيد بن المسيب أنها جاءته بزيادة على ما كانت تأتيه به من الخبز فخاف خيانتها فحلف ليضربنها •

ثالثها : ما حكاه يحيى بن سلام وغيره أن الشيطان أغواها أن تحمل أيوب على أن يذبح سخلة تقرباً إليه وأنه يبرأ فذكرت ذلك له فحلف ليضربنها إن عوفي مائة •

رابعها : أنها باعت ذوائبها برغيفين إذ لم تجد شيئاً تحمله الى أيوب وكان أيوب يتعلق بها إذا أراد القيام فلهذا حلف ليضربنها فلما شفاه الله أمره أن يأخذ ضغثاً فيضربها به فأخذ شماريخ قدر مائة فضربها بها ضربة واحدة » .

وقصة صبر أيوب تدخل في حيز أغراض القصص في القرآن ، وأسمى أغراضها إنشاء العقيدة الدينية الخاصة المجردة وموطن هذه العقيدة الخالدة هو الضمير والوجدان فلم يكن الداعي الى الاستمساك بالصبر والاعتصام به مجرداً لقداسته الدينية ولكن اتساع الآفاق النفسية وانفتاح منافذ المعرفة أمام النفس .

وَاذْكُرْ عِبَادَنَآ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾

الاعراب :

(واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيد والأبصار) الواو عاطفة اذكر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت أي اذكر يا محمد صبرهم على ما أصابهم وثباتهم على عقائدهم وتأسّ بهم وعبادنا مفعول به وإبراهيم بدل أو عطف بيان واسحق ويعقوب عطف على ابراهيم وأولي الأيد أي أصحاب الأيدي مفعول به وسيأتي القول مسهباً في معنى أولي الأيد في باب البلاغة والأبصار عطف على الأيد .

(إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) الجملة تعليلية لما وصفوا به من علو الرتبة وسموها بالعلم والعمل ، وان واسمها وجملة أخلصناهم خبر أنا وبخالصة متعلقان بأخلصناهم والباء إما للسببية إن كان أخلصناهم بمعنى جعلناهم خالصين وإما للتعدية إن كان أخلصناهم بمعنى خصصناهم وخالصة صفة لموصوف محذوف أي بخصلة خالصة وذكرى الدار يجوز فيها أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف أو بدل من خالصة وإذا اعتبرت خالصة مقدراً بمعنى الاخلاص فتكون ذكرى مفعولاً به لخالصة وإذا كانت مصدراً بمعنى الخلوص فتكون ذكرى فاعلاً لها فقد تمت لها أربعة أوجه وأما إضافة ذكرى الى الدار فمن إضافة المصدر إلى المفعول أي ذكرهم الدار الآخرة وهناك قراءة متعددة يرجع اليها في المطولات .

(وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار) وانهم ان واسمها وعندنا ظرف متعلق بمحذوف حال ولمن اللام المزحلقة ومن المصطفين خبر إنهم والأخيار صفة. (واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل كل من الأخيار) واذكر عطف على ما تقدم واذكر اسماعيل فعل وفاعل مستتر ومفعول به واليسع وذا الكفل معطوفان على اسماعيل وكل مبتدأ ساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم ومن الأخيار خبر .

البلاغة :

الكناية في قوله « أولي الأيد والأبصار » وهي كناية عن العمل الصالح قال الزمخشري « أولي الأعمال والفكر كأن الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ولا يفكرون أفكار ذوي الديانات ولا يستبصرون في حكم الزمنى الذين لا يقدرون على إعمال جوارحهم

والمسلوبي العقول الذين لا استبصار بهم » وفيه أيضاً فن التعريض بأن من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين في دين الله خليق بالتوبيخ وأسوأ المذام ، والأيدي جمع يد وهي الجارحة فالكناية بها لأن جميع الأعمال تزاول بها وإذا كانت جمعاً ليد بمعنى النعمة فهي مجاز مرسل علاقته السببية وقد تقدم بحث ذلك لأن اليد هي سبب النعمة وإنما حذفت الياء في خط المصحف اجتزاء عنها بالكسرة وفسر بعضهم الأيد بمعنى القوة وهي وإن كانت جائزة من حيث اللغة إلا أن المقام يضعف استعمالها بهذا المعنى ، قال الزمخشري « وتفسيره بالأيد من التأييد قلق غير ممكن » .

هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ * وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾

اللغــة :

(قاصرات الطرف) : حابسات العين على أزواجهن لا ينظرن إلى غــيرهم .

(أتراب) : أسنانهن واحدة ، سمين بذلك كأن التراب مسهن في وقت واحــد ويقول البيضاوي « أتراب لأزواجهن لدات لهم أي مساويات لأزواجهــم في السن فإن التحاب بين الأقران أثبت ورجح الزمخشري أن يكون التساوي بينهن دون أزواجهن وفي القاموس : « والترب بالكسر اللدة والسن ومن ولد معك وهي تربي وتاربتها : صارت تربها » قال عمر بن أبي ربيعة :

أبرزوها مثل المهـــاة تهادى من خمس كواعـــب أتراب

وقد نظم بعضهم معاني هذه المادة فقال :

وضـــع تراب فـــــوق صك ترْب
ضـــرب ترائب كـــــــذا والتّـــرب

مثلــــك ســناً والــتراب التّـــرب
ترائب الشخص عظـــــام الصـــدر

ومصـــدر لتــرب الشــيء التّــرب
وجمــع ترب الشخص في العمر التّرب

وجمـع تربـة بضـم التـُّرَبْ

أي قطعـة من التـراب فادر

(وغساق) : ما يسيل من صديد أهـل النار وفي القاموس : « وغسق الجرح سال منه مـاء أصفر » وقيـل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده .

الاعراب :

(هـذا ذكر وإن للمتقـين لحسن مآب) كلام مستأنف مسوق للإيذان بانتهاء ما تقدم من قصص والشروع في موضوع آخر . وهذا مبتدأ وذكر خبر وإن الواو استئنافية وإن حرف مشبه بالفعل وللمتقين خبرها المقدم واللام المزحلقة وحسن مآب اسمها المؤخر . (جنات عدن مفتحـة لهـم الأبواب) جنات عدن بدل أو عطف بيان لحسن مآب ومفتحة حال من جنات عدن والعامل فيها مافي المتقين من معنى الفعل ولهم متعلقان بمفتحة والأبواب نائب فاعـل لمفتحة لأنه اسم مفعول وقال الزمخشري في صدد إعراب هذه الآية : « ومفتحة حال والعامل فيها مافي للمتقين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات والأبواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هي الأبواب كقولهم ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال وقرىء جنات عدن مفتحة بالرفع على أن جنات عدن مبتدأ ومفتحة خبره أو كلاهما خبر مبتدأ محذوف أي هو جنات عدن هي مفتحة لهم » .

(متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) متكئين حال من الهاء في لهم والعامل فيهـا مفتحة وفيها متعلقان بمتكئين وجملة

يدعو إما مستأنفة لبيان حالهم فيها ويجوز أن تكون حالية مما ذكر وفيها حـال من فاعل يدعون أي حال كونهم فيها وبفاكهـة متعلقان بيدعون والاقتصار على الفاكهة يفيد الإيذان بأن مطاعمهم هناك ليست للتغذي وإقامة الجسم ولكن لمحض اللذة والتفكه وكثيرة صفة وشراب عطف على فاكهة • (وعندهم قاصرات الطرف أتراب) الواو عاطفـة والظرف متعلق بمحـذوف خبر مقدم وقاصرات الطرف مبتدأ مؤخر وأتراب صفـة لقاصرات • (هـذا ما توعدون ليوم الحساب) اسم الاشارة مبتدأ وما خبر وجملة توعدون صلة وليوم الحساب متعلقان بتوعدون واللام للتعليـل أي لأجـل يوم الحساب وأرى انه يجوز اعراب ما بدلاً من اسم الإشارة وليوم الحساب هو الخبر ولعله أولى• (إن هذا لرزقنا ماله من نفاد) إن واسمها واللام المزحلقة ورزقنا خبر إن وما نافية حجازية أو تميمية وله خبر مقدم ومن حرف جر زائد ونفاد اسم مجرور لفظاً بمن في محـل رفع اسم ما المؤخر أو مبتدأ مؤخر •

(هذا وإن للطاغين شر مآب) هذا مبتدأ محذوف الخبر أو خبر لمبتدأ محذوف والكلام مستأنف وقد تقدم نظيره قريباً، قال ابن الأثير: « هذا في هذا المقام من الفصل الذي هو خير من الوصل وهي علاقة وكيدة بين الخروج من الكلام الى كلام آخر » والواو عاطفـة وإن حرف مشبه بالفعل وللطاغين خبرها المقدم واللام المزحلقة وشر مآب اسم إن المؤخر • (جهنم يصلونها فبئس المهاد) بدل من شر مآب أو عطف بيان له وجملة يصلونها حالية وهو مفعول مضارع والواو فاعل والهاء مفعول به ولك أن تعرب جهنم مفعولاً بفعل محذوف دل عليه يصلونها والفاء الفصيحة أي إن أردت أن تعلم حقيقة جهنم فهي بئس المهاد وبئس فعل جامد لإنشاء الذم والمهاد فاعل والمخصوص محذوف

تقديره هي . (هـذا فليذوقوه حميم وغساق) هـذا مبتدأ وحميم وغساق خبراه وجملة فليذوقوه معترضة والفاء اعتراضية واللام لام الأمر ويذوقوه فعـل مضارع مجزوم بلام الأمر والواو فاعل والهاء مفعول به وقد اضطربت أقوال المعربين في هذه الآية كثيراً وفيما يلي ما قاله أبو البقاء :

« هذا هو مبتدأ وفي الخبر وجهان أحدهما فليذوقوه مثل قولك زيد اضربه وقال قوم هـذا ضعيف من أجـل الفاء وليست في معنى الجواب كالتي في قوله : والسارق والسارقة فاقطعوا ، فأما حميم على هذا الوجه فيجوز أن يكون بدلاً من هـذا وأن يكون خبراً لمبتدأ محذوف أي هو حميم وأن يكون خبراً ثانياً والوجه الثاني أن يكون حميم خبر هذا وفليذوقوه معترض بينهما وقيل هذا في موضع نصب أي فليذوقوه هذا ثم استأنف فقال حميم أي هو حميم وأما غساق فيقرأ بالتشديد مثل كفار وصبار وبالتخفيف اسم للمصدر أي ذو غسق أو يكون فعال بمعنى فاعل » .

(وآخر من شكله أزواج) وآخر عطف على حميم وغساق ومن شكله نعت له وأزواج خبر لمبتدأ محذوف أي هي أو صفة للثلاثة . (هذا فوج مقتحم معكم لا مرحباً بهم إنهم صالوا النار) الجملة مقول قول محذوف أي ويقال لهم عند دخولهم النار وهذا مبتدأ وفوج خبر ومقتحم صفة لفوج ومعكم ظرف متعلق بمحذوف صفة ثانية لفوج أو حال من الضمـير من مقتحـم أو من فوج لأنه وصف ولا نافية ومرحباً منصوب على المصدر وبهم متعلقان بمرحباً وفي الجملة المنفية وجهان أحدهما أنها مستأنفة سيقت للدعاء عليهـم بضيق المكان أو

حالية أي هذا فوج مقتحم مقولاً لهم لا مرحباً بهم وفي القرطبي : « فقالت السادة لا مرحباً بهم أي لا اتسعت منازلهم في النار والرحب السعة ومنه رحبة المجد وغيره وهو بمعنى الدعاء ولذلك نصب » وقال أبو عبيدة: العرب تقول لا مرحباً بك أي لا رحبت عليك الأرض ولا اتسعت وجملة انهم صالو النار تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم وان واسمها وصالوا النار خبرها •

﴿ قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار ﴾

قالوا فعل وفاعل والضمير يعود على الاتباع وبل حرف اضراب وأنتم مبتدأ ولا مرحباً مقول قول محذوف هو الخبر أي يقال لكم ، وأنتم مبتدأ وجملة قدمتموه خبره وقدمتموه فعل ماض والتاء فاعل والميم علامة جمع الذكور والواو لإشباع ضمة الميم والهاء مفعول به ولنا جار ومجرور متعلقان بقدمتموه ، فبئس الفاء عاطفة وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم والقرار فاعل والمخصوص بالذم محذوف أي النار •

قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾

الاعراب :

(قالوا : ربنا من قدّم لنا هذا فزده عذاباً ضعفاً في النار) قالوا فعل وفاعل وربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء ومن اسم موصول مبتدأ وجملة قدّم خبر والفاء رابطة لما في الموصول من رائحة الشرط وجملة فزده خبر والأولى أن يكون مَن مفعولاً لفعل محذوف يفسره ما بعده أي فزد مَن قدّم والهاء مفعول به أول وعذاباً مفعول به ثان وضعفاً نعت لعذاب أي مضاعفاً وفي النار ظرف لزده أو حال من الهاء أي فزده كائناً في النار أو نعت ثان لعذاباً . (وقالوا مالنا لا نرى رجالاً كنّا نعدّهم من الأشرار) قالوا فعل وفاعل والضمير يعود على كفار مكة كأبي جهل وأمية بن اخلف وغيرهما ، وما اسم استفهام مبتدأ ولنا متعلقان بمحذوف خبر وجملة لا نرى حالية وفاعل نرى ضمير مستتر تقديره نحن ورجالاً مفعول به وأرادوا بهم فقراء المسلمين وكان واسمها وجملة كنّا صفة لرجالاً وجملة نعدهم خبر كنّا أي نحسبهم في الدنيا ومن الأشرار متعلقان بنعدهم .

(أتخذناهم سخرياً أم زاغت عنهم الأبصار) الهمزة للاستفهام الإنكاري وهمزة الوصل سقطت استغناء عنها واتخذناهم فعل ماض وفاعل ومفعول به أول وسخرياً مفعول به ثان كأنهم أنكروا على أنفسهم ما كانوا يتخذونه في الدنيا وسخرياً يقرأ بكسر السين وضمها والياء للنسب فالسخري أقوى من السخر كما قيل في الخصوص خصوصية للدلالة على قوة ذلك ، فافهمه فإنه جيد ، وأم حرف عطف متصل بقوله مالنا وزاغت عنهم الأبصار فعل وفاعل وعنهم متعلقان بزاغت فلم نرهم ومنهم عمار بن ياسر وبلال وصهيب وسلمان وجملة اتخذناهم مستأنفة ، ونرى من المفيد أن ننقل عبارة الزمخشري قال :

« أم زاغت عنهم الأبصار : له وجهان من الاتصال أحدهما أن يتصل بقوله مالنا أي مالنا لا نراهم في النار كأنهم ليسوا فيها بل زاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا أمرهم بين أن يكونوا من أهل الجنة وبين أن يكونوا من أهل النار إلا انه خفي عليهم مكانهم والوجه الثاني أن يتصل باتخذناهم سخرياً إما أن تكون أم متصلة على معنى أي الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم أم الازدراء بهم والتحقير وأن أبصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم على معنى إنكار الأمرين جميعاً على أنفسهم ، وعن الحسن : كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخرياً وزاغت عنهم أبصارهم محقرة لهم ، وإما أن تكون منقطعة كقولك : إنها الإبل أم شاء ، وأزيد عندك أم عندك عمرو » .

(إنّ ذلك لحقٌ تخاصم أهل النار) إن واسمها أي الذي حكيناه عنهم واللام المزحلقة وحق خبر وتخاصم أهل النار بدل من حق أو خبر لمبتدأ محذوف وجملة المبتدأ المحذوف وخبره مفسرة لاسم الاشارة وسيأتي معنى التخاصم في باب البلاغة . (قل إنما أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار) إنما كافة ومكفوفة وأنا مبتدأ ومنذر خبر والواو حرف عطف وما نافية ومن حرف جر زائد وإله مجرور لفظاً مرفوع بالابتداء محلاً وإلا أداة حصر والله خبر والواحد القهار صفتان لله . (رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار) رب نعت أو بدل وما بينهما عطف على السموات والأرض والعزيز الغفار نعتان أيضاً .

البلاغة :

١ ــ في قوله « إن ذلك لحق تخاصم أهل النار » تشبيه تقاولهم وما يدور بينهم من حوار ويتبادلونه من سؤال وجواب بما

يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك لأن قول الرؤساء لتابعيهم لا مرحباً بهم وقول التابعين بل أنتم لا مرحباً بكم لا يعدو الخصومة التي يتراشقها المتخاصمون •

٢ ـ فائدة الحرف الزائد في كلام العرب إما معنوية وإما لفظية فالمعنوية تأكيد المعنى الثابت وتقويته وأما اللفظية فتزيين اللفظ وكونه بزيادتها أفصح أو كون الكلمة أو الكلام بها يصير مستقيم الوزن أو حسن السجع أو غير ذلك ولا يجوز خلو الزيادة من اللفظية والمعنوية معاً وإلا لعدت عبثاً وقد تجتمع الفائدتان في حرف وقد تنفرد إحداهما عن الأخرى •

الفوائد :

تغييرات النسبة :

ذكرنا في الإعراب أن السخري أقوى من السخر والخصوصية أقوى من الخصوص ونذكر هنا أن النسب يحدث في الاسم تغييرات :

١ ـ زيادة ياء النسب في آخره وهذه الياء المشددة حرف بمنزلة تاء التأنيث لا موضع لها من الإعراب •

٢ ـ كسر ما قبلها •

٣ ـ جعل الياء منتهى الاسم •

وإنما تطرق التغيير في اللفظ لتغيير المعنى ، ألا ترى أنك إذا نسبت الى علم استحال نكرة بحيث تدخله أداة التعريف كالتثنية

والجمع وصار صفة بمنزلة المشتق بعد الجود ويرفع الاسم بعده على الفاعلية أما مظهراً أو مضمراً تقول مررت برجل تميمي أبوه وآخر هاشمي جده ، وإذا نسبت الى المصدر زدته قوة كما في قولك سخرياً ٠

قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾

الاعراب :

(قل هو نبأ عظيم) قل فعل وفاعله مستتر تقديره أنت يا محمد وتكرير القول لتأكيد النبأ وتضخيمه ، وهو مبتدأ ونبأ خبر وعظيم صفة ٠ (أنتم عنه معرضون) الجملة نعت ثان للنبأ ويجوز أن تجعلها مستأنفة للفت الانتباه الى فداحة ما يرتكبونه من جريرة الإعراض عن

ذلك النبأ وهو القرآن وما حصل به من شرائع وتعاليم وأنتم مبتدأ وعنه متعلقان بمعرضون ومعرضون خبر أنتم • (ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون) كلام مستأنف مسوق لتأكيد أنه نبأ عظيم وارد من الله تعالى وما نافية وكان فعل ماض ناقص ولي خبر كان المقدم ومن حرف جر زائد وعلم مجرور بمن لفظاً في محل رفع اسم كان المؤخر وبالملأ متعلقان بعلم على تقدير مضاف أي بأنباء الملأ واختصامهم والأعلى صفة للملأ وإذ ظرف ماض متعلق بالمصدر أيضاً وقال الزمخشري : « بمحذوف لأن المعنى ما كان لي بكلام الملأ الأعلى وقت اختصامهم » وجملة يختصمون في محل جر بإضافة الظرف اليها وقيل الضمير في يختصمون عائد على قريش أي يختصمون في أمر الملأ الأعلى لأن ذلك أمر تنوء العقول دون معرفته والمدار في الإحاطة به على الوحي •

(إن يوحى إلي الا أنما أنا نذير مبين) إن نافية ويوحى فعل مضارع مبني للمجهول وإلي متعلق بيوحى وإلا أداة حصر وانما كافة ومكفوفة وقد سدت مع مدخولها مسد نائب فاعل يوحى أي ما يوحى إلي إلا الانذار والقصر اضافي وقد تكرر هنا وقد تقدم بحث القصر وأنا مبتدأ ونذير خبر ومبين نعت • (إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين) إذ بدل من إذ يختصمون ويجوز أن تنصبها بأذكر محذوفاً وجملة قال ربك في محل جر بإضافة الظرف اليها وإن وما بعدها مقول قول وإن واسمها وخالق خبرها وبشراً مفعول به لخالق ومن طين نعت لبشراً وقد أغنى بهذا الوصف عن النعوت البشرية كلها وتلك هي براعة الايجاز • (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) الفاء عاطفة وإذا ظرف مستقبل متضمن

معنى الشرط وسويته فعل ماض وفاعل ومفعول به والجملة في محل جر بإضافة الظرف اليها ونفخت عطف على سويته وفيه متعلقان بنفخت وكذلك قوله من روحي والمعنى وأحييته وجعلته حساساً ، فقعوا الفاء رابطـة لجواب أذا وقعوا فعـل أمر وفاعـل وله متعلقان بساجدين وساجدين حال والمراد بالسجود التكرمة والاحترام •

(فسجد الملائكة كلهم أجمعون) الفاء عاطفة وسجد الملائكة فعل وفاعل وكلهم تأكيد أول وأجمعون تأكيد ثان ، قال الزمخشري : « كل للإحاطة وأجمعون للاجتماع فأفادا معاً أنهم سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم ملك إلا سجد وأنهم سجدوا في وقت واحد غير متفرقين في أوقـات » • (إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين) إلا أداة استثناء وإبليس مستثنى متصل أو منقطع وذهب الزمخشري مذهباً غريباً قـال : « فإن قلت كيف استثنى إبليس من الملائكـة وهو من الجن ؟ قلت قد أمر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله فسجد الملائكة ثم استثنى كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلاً » وجملة استكبر مستأنفة لبيان كيفية امتناعه من السجود وكان عطف عـلى استكبر واسم كان مستتر تقديره هو يعود على إبليس ومن الكافرين خبر كان (قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) قال فعل ماض وفاعله يعود عـلى الله تعالى ويا حرف نداء وإبليس منادى مفرد علم مبني على الضم وما اسم استفهام مبتدأ وجملة منعك خبر وأن وما في حيزها منصوب على أنه مفعول ثان لمنع وأن حرف مصدري ونصب وتسجد فعل مضارع منصوب بأن وفاعله مستتر تقديره أنت واللام حرف جر وما اسم موصول مجرور باللام وجملة خلقت صلة والعائد محذوف أي خلقته وبيدي متعلقان بخلقت •

(أستكبرت أم كنت من العالين) الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي وهمزة الوصل سقطت استغناء عنها واستكبرت فعل وفاعل وأم عاطفة متصلة ولا يمنع من ذلك اختلاف الفعلين ، قال سيبويه : « وتقول أضربت زيداً أم قتلته فالابتداء هنا بالفعل أحسن لأنك إنما تسأل عن أحدهما لا تدري أيهما كان ولا تسأل عن موضع أحدهما كأنك قلت : أي ذلك كان ؟ » وكنت كان واسمها ومن العالين خبرها أي من المتكبرين . (قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) أنا مبتدأ وخير خبر ومنه متعلقان بخير والجملة مقول القول وخلقتني فعل وفاعل ومفعول به ومن نار متعلقان بخلقتني وخلقته من طين عطف على خلقتني من نار . (قال فاخرج منها فإنك رجيم) قال فعل ماض والفاعل هو يعود على الله تعالى ، فاخرج الفاء الفصيحة واخرج فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت ومنها متعلقان باخرج ، فإنك الفاء تعليل للأمر بالطرد وان واسمها ورجيم خبرها . (وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين) عطف على فإنك رجيم وان حرف مشبه بالفعل وعليك خبرها المقدم ولعنتي اسمها المؤخر والى يوم الدين متعلقان بمحذوف حال أي مستمرة ومعنى الانتهاء استمرارها في الدنيا حتى إذا كان يوم الدين تضاعفت عليه حتى لتكاد الأولى تنسى فكأنها انتهت لتستأنف من جديد .

البلاغة :

في قوله « ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي » تغليب لليدين على غيرهما من الجوارح التي تباشر بها الأعمال لأن ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه حتى قيل في عمل القلب هو مما عملت يداك على المجاز

وحتى قيل في المثل « يداك أوكتا وفوك نفخ » وقد أبى فريق من أهل السنة أن يكون من المجاز كالشيخ أبي الحسن الأشعري واحتجوا بأن نعم الله لا تحصى فكيف تحصر بالتثنية وهذا حق ، على أن إمام الحرمين وغيره من أهل السنة جوّزوا حملها على المجاز وأجابا عما ذكره الشيخ أبو الحسن بأن المراد نعمة الدنيا والآخرة وهذا مما يحقق تفضيله على إبليس إذ لم يخلق إبليس لنعمة الآخرة وعلى أن المراد القدرة فالتثنية تعظيم ومثل ذلك كثير في اللغة *

قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥) قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ (٨٦) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ (٨٧) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ (٨٨)

الاعراب :

(قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون ، قال فإنك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) قال : فعل ماض وفاعله مستتر يعود الى إبليس ، فأنظرني الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط مقدر وتقديره إذا جعلتني رجيماً فأمهلني ، وانظرني فعل أمر والفاعل مستتر تقديره أنت

والنون للوقاية والياء مفعول به والى يوم متعلقان بأنظرني وجملة يبعثون في محل جر بإضافة الظرف اليها طلب فسحة لاغواء بني آدم •

(قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين) الفاء عاطفة لترتيب مضمون الجملة على الإنظار والباء حرف جر وقسم وعزتك مجرور بالباء والجار والمجرور متعلقان بفعل القسم المحذوف واللام واقعة في جواب القسم وأغوينهم جملة لا محل لها وأغوينهم فعل مضارع وفاعل مستتر تقديره أنا ومفعول به وأجمعين تأكيد • (إلا عبادك منهم المخلصين) إلا أداة استثناء وعبادك مستثنى ومنهم حال والمخلصين نعت لعبادك (قال فالحق والحق أقول) الفاء استئنافية والحق مبتدأ خبره محذوف تقديره قسمي أو مني أو خبر لمبتدأ محذوف أي هو الحق والحق مفعول مقدم لأقول أي لا أقول إلا الحق يعني أن تقديم المفعول أفاد الحصر أو هو مصدر مؤكد لمضمون قوله لأملأن وجملة والحق أقول اعتراضية بين القسم وجوابه • وقد قرىء بنصب الحق الأول •

(لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) اللام جواب للقسم وأملأن فعل مضارع مبني على الفتح والفاعل مستتر تقديره أنا والجملة خبر الحق أو لا محل لها لأنها جواب قسم ولم تتمحض لجواب القسم لأنه غير نص في اليمين بخلاف لعمرك ولهذا لم يحذف الخبر وجوباً وجهنم مفعول به ومنك متعلقان بأملأن وممن تبعك عطف على منك وجملة تبعك صلة من ومنهم حال وأجمعين تأكيد للضمير في منهم أو للكاف في منك وما عطف عليه ، قال الزمخشري : « فإن قلت أجمعين تأكيد لماذا ؟ قلت : لا يخلو أن يؤكد به الضمير في منهم أو الكاف في منك مع من تبعك ومعناه لأملأن جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين لا أترك أحداً منهم » •

(قــل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) ما نافية وأسألكم فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به وعليه متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة الأجر وتقدم عليه ومن حرف جر زائد وأجر مجرور لفظاً منصوب محلاً على انه مفعول أسألكم والواو عاطفة أو حالية وما نافية حجازية وأنا اسمها ومن المتكلفين خبرها أي المتصنعين المتصفين بما ليسوا من أهله حتى أتنحل النبوة وأتقوّل القرآن.(إن هو إلا ذكر للعالمين) إن نافية وهو مبتدأ وإلا أداة حصر وذكر خبر هو وللعالمين صفة لذكر . (ولتعلمن نبأه بعد حين) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم وتعلمن فعل مضارع مرفوع لأن نون التوكيد لم تباشره وعلامة رفعه ثبوت النون المحذوفة لالتقاء الساكنين والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين أيضاً فاعل والنون نون التوكيد الثقيلة ونبأه مفعول به وبعد حين ظرف متعلق بتعلمن وعلم بمعنى عرف فهو متعد لواحد وهو نبأه ويجوز أن تكون عــلى بابها فيكون المفعول الثاني بعد حين .